الباب الثالث

عبودية الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام والدعوة إليها

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: عبودية الأنبياء والرسل

وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: عبودية محمد r .

المبحث الثاني: عبودية نوح عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: عبودية إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

المبحث الرابع: عبودية موسى وعيسى وهارون عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الخامس: عبودية داوود وسليمان عليهما الصلاة والسلام.

المبحث السادس: عبودية يوسف وإسحاق ويعقوب وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام.

المبحث السابع: عبودية هود وصالح وشعيب وزكريا عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الثامن: عبودية أيوب ويونس عليهما الصلاة والسلام.

المبحث التاسع: عبودية الياس وذي الكفل والأسباط ويحيى عليهم الصلاة والسلام.

تمهيـــد:

عند النظر والتأمل في كتاب الله تعالى نجد الحديث عن شأن الأنبياء والرسل يطول في هذا الكتاب، فهو يعرض قصة الدعوة الى عبودية الله، واستجابة البشرية لها أو عدم قبولها، كما يبين حال الأنبياء والرسل مع خالقهم وموجدهم، فهم النخبة المختارة المصطفاة لحمل الوحي والرسالة.

"وهذه المكانة والمنزلة العالية منحة إلهية ونعمة ربانية" [1] قال سبحانه: 7Íȳ9rÉâ

LìÜº•ð þƒfÊ `Ër ¤yqÇ ìB $¥ÙUm ôÐËr PŠ#ä þƒfÊ `Ë `¿ÍÎ¥9$ `Ë NÍÖã ª¡ $NèR‰ `ƒ¥‰$

á $¥ØqGô_¤ $Zƒ‰d ôÐËr Ü/ƒäÅŽóÎr[2].

فهم أجلّ الخلق، وأشرفهم، وأطهرهم، لذا كان من الضروري جـــداً أن أتعـــرض لمسائل وثيقة الصلة بهذا الفصل مراعية في تلك المسائل الإيجاز ما اســـتطعت؛ لأجـــل أن لا يطغى هذا على المقصود من هذا الفصل وهو الحديث عن عبودية الأنبياء والرســـل علـــيهم الصلاة والسلام.

ومن هذه المسائل: التعريف بالنبي والرسول.

النبي لغة: مأخوذ من النبأ، أي الخبر[3]، قال تعالى: îÍ6Z9$ÇÃ ÇÈ bqèäù$¡Ff ¤Ã â

á ÇÈ É‹ÏàèÜ¤$[4] .

أو من النباوة: وهي الشيء المرتفع [5].

وفي الاصطلاح: هو الذي ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأ الله به فهو من بعث لتقرير شرع من قبله[6].

---

(١) انظر الرسل والرسالات. د. عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، دار النفائس ط الخامسة ١٤١٢هـ - ١٩٨٩م.

(٢) سورة مريم، ٥٨.

(٣) لسان العرب (١٦٣/١).

(٤) سورة النبأ، ١، ٢.

(٥) انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤/٥) ط عيسى البابي الحلبي ١٣٨٣هـ .

(٦) انظر النبوات لابن تيمية، ١٦٧، تحقيق عبد العزيز السيروان، دار الكتاب العربي ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، روح المعاني للألوسي (٦٣٢/٩) .

الرسول: في اللغة التوجيه بأمر ما[١].

في الاصطلاح: هو من بعث لتبليغ رسالة الله بشرع جديد[٢].

والخلاف مشهور في الفرق بينهما: ولعل الراجع أن النبي من كان يعمل بشريعة من قبله و لم يرسل إلى أحد يبلغه عن الله، بخلاف الرسول فهو مبعوث بشريعة جديدة مأمور بتبليغها[٣].

فمن نبأه الله بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبي رسول وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول، فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس، فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها[٤].

والإيمان بالأنبياء والرسل ركن من أركان العقيدة، وأصل من أصول الإيمان[٥] قال سبحانه: ,»sðÎr @ŠÉ»JðÎr NŠÜ°•ðÎ #?ã AÌ‘Ré$Br $ZŽøã AÌ‘Ré$Br «! $YB#ä @Éâ

ðGÝÉ ‰m& û#/ äìÝÇw ÑÎÎS `Ï šc qŠÎÝ9$r é¤Šär é› qã 'Ìré$Br Å$7ðŸF$ šU qàè/r

á ÇÌÍÈ bqÜÎóÁ¼9 ßósRr[٦].

والأنبياء والرسل كثيرون، أما الذين ذكرهم القرآن فهم خمسة وعشرون يجب الإيمان بهم تفصيلاً [٧] وهم: آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق يعقوب، يوسف، شعيب، أيوب، ذو الكفل، موسى، هارون، داود، سليمان الياس، اليسع يونس، زكريا، يحيى، عيسى، محمد – عليهم الصلاة والسلام -.

---

(١) اللسان (٢٨٣/١١) .

(٢) انظر النبوات ١٦٧، روح المعاني للألوسي (٦٣٢/٩) .

(٣) انظر النبوات ١٦٧.

(٤) العقيدة الطحاوية (١٥٥/١) .

(٥) الرسل والرسالات ١٥.

(٦) سورة آل عمران: ٨٤.

(٧) مع الأنبياء في القرآن، عفيف طباره، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ص١٧.

قال عن آدم — عليه السلام - [1].

وقال عن هود - عليه السلام - [2].

وقال عن صالح — عليه السلام - [3].

وقال عن شعيب — عليه السلام - [4].

وقال عن إسماعيل وإدريس وذ الكفل [5].

وقال عن محمد [6].

وقال معدداً بعضاً منهم — عليهم الـــسلام -

[7].

كما يجب الإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلاً سواهم، وأنبيـــاء لا يعلـــم أسمـــاءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم، فعلينا الإيمان بهم جملة؛ لأنه لم يأت في عددهم نص[8]

---

(١) سورة آل عمران: ٣٣.

(٢) سورة هود: ٥٠.

(٣) سورة هود: ٦١.

(٤) سورة هود: ٨٤.

(٥) سورة الأنبياء: ٨٥.

(٦) سورة الفتح: ٢٩.

(٧) سورة الأنعام: ٨٣ — ٨٦.

(٨) شرح العقيدة الطحاوية (٤٢٣/٢) .

وقد قال تعالى: [1] وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بياناً لا يسمع أحداً مما أرسلوا إليه جهله، ولا يحل له خلافه [2] قال سبحانه: [3].

وهم خلق كثير لا يعلم عددهم – أي الأنبياء والرسل – إلا الله، عن أبي ذر[4] – رضي الله عنه – قال: قلت: يا رسول الله،(كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر جمعاً غفيراً) وفي رواية أبي أمامة[5]. قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، (كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل في ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمعاً غفيراً)[6].

كما لا يجوز الإيمان ببعض منهم دون بعض، فالكفر بنبي واحد كفر بجميع الأنبياء فيجب الإيمان بهم بدون تفرقة، قال سبحانه: [illegible]

---

(١) سورة النساء ١٦٤.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٢٣) .

(٣) سورة النحل: ٣٥.

(٤) أبو ذر هو جندب بن جنادة بن سفيان الغفاري الحجازي التقي النقي الميت غريباً ، كان من السابقين للإسلام – رضي الله عنه – ومن الأتقياء الزهاد ، ورجع إلى قومه بعد أن أسلم في مكة بتوجيه من النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم هاجر إلى المدينة وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاهد معه وشهد فتوح الشام وعاد منها زمن الخليفة الراشد عثمان – t - مات سنة ٣٢ هـ ، ينظر لترجمته الإصابة (٤/٦٤) .

(٥) هو صُدَيّ بن عجلان ، أبو أمامة الباهلي صحابي مشهور كبير القدر ، سكن الشام ومات بها سنة ست وثمانين . ينظر أسد الغابة (٢/١٦) والتقريب (٢٧٦) .

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥ / ١٧٩) وفي اسناده المسعودي اختلط بآخره فترك حديثه ، وعبيد بن الخسخاش مجهول ، وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده كما في اتحاف المهرة (٧/ ٥٤) من طريق المسعودي به وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٤٩) وأخرجه اسحاق بن راهويه في مسنده لما في اتحاف المهرة (٧/ ٥٤) من طريقين آخرين عن طريق المسعودي ، وهكذا ذكره الحافظ بن حجر في المطالب العالية (١٠/ ٩٣) عن اسحاق بن راهويه ، ورواه أبو الشيخ في أحاديثه (٧١) من حديث أبي ذر، وأخرجه بن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣/ ٤٧٧) من طريق آخر عن أبي ذر ، وأخرجه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده (١/ ٥٧) برقم (٥١) من حديث أبي ذر .

brfßfÞfr <Ù è7Î ëgo6 Rr <Ù è7Î ßBsçšc qßqà/r ¾ÜÎfMâr «‹ $ûü/ {qèÞÿãb& šc rfßfÞfr

á brëÿ»3ø$ßàè 7Í¯9réÇïÈ ¸x‹î™ 7Ÿ°Œ ûü/ {räÏ, Gƒ b&.(١)

وقد أثنى الله عليهم لقيامهم بوظائفهم التي كلفوا بها ومن أبرزها تبليغ رسالة الله قال سبحانه: á ©$žvÎ #‰n& bö±ør ÿr ¼çRö±ør «‹ $M»=»™Í bqäk7ãšú ï‰©$â:.(٢)

كما دعوا الخلق إلى عبودية الله، فهي قضية واحدة يقوم عليها دين الله كله ويتعاقب بها الرسل جميعاً على مدار التاريخ، وعلى أساسها تدور المعركة بين الحق والباطل. قال سبحانه: á Nqá»Ù9$ƒ{qçÇGô_$r ©$ƒr‰çãSÂc &wqÏ§ßBéèà2 'Î$Z¥è/ ‰)9r â:.(٣)

فمن سار على نهجهم واستن بسنتهم يبشرونه بالسعادة الحقيقية قال سبحانه: ôB â: á ßÎÛ ßÄ‹m ¼çZ•ísãù ÖBs¬ãqèr á\Réf«ÇÜ2 Œ `B $[s¡» ¹ ÿÜã.(٤) وينذرون ويخوفون من خالف هذا الطريق بالعذاب الأخروي قال تعالى: ‰èGƒr ¼ãqÏ‘r ©$ÆÈèƒ Æ Br â:.(٥)

á ÇïÈ Ñú üôB Ñ U #‹ ã ¼ãr $g‹ï #Ï$Ï» z #:$R ãÅÅãp¼çŠr‰ãx

فهم يبشرون من أطاع الله بالنعيم، ومن عصاه بالجحيم: ßÎ) ûüî™ö3ø$ãÅÈçB$Br â:.(٦) كما أن من وظائفهم أيضاً هداية الخلق وإرشادهم إلى الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه قال تعالى: á ûïíÉ¥ãr ûïÎÅ;ã á ÐŠÉGóB Þ°ŽÂ 4‹Î ü ï‰ö9 7Ïr â:.(٧)

---

(١) سورة النساء: ١٥٠ – ١٥١.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٩.

(٣) سورة النحل: ٣٦.

(٤) سورة النحل: ٩٧.

(٥) سورة النساء: ١٤.

(٦) سورة الكهف: ٥٦.

(٧) سورة الشورى: ٥٢.

بالإضافة إلى تهذيب السلوك والرقي به إلى أعلى درجات الصلاح قال تعـــالى: â ï¼Œ"

bÎr pJ3ïø =»GÅ8SG3ïèr ïÍ]"r ¾ïï»/#ä ïÍ-ã {qè/ ïÅB zqï' `¿ïBV$'Î] è/

.[1] á ÇÈ &ÎB @»=Ê 'Å @6 `B {q.

فعند ما تسموا النفوس، وتعلو في طريق الحق، فإنها ستدرك تمام الإدراك خطأ تلك الأفكار المنحرفة والعقائد الزائفة[2].

كما أن الإيمان باليوم الآخر هو أيضا من وظائف النبوة؛ لأنه من الأمور الغيبية التي لا يصل إلى إدراك حقيقتها العقل بدون هداية الأنبياء[3].

عندها يتذكر العبد سلطان الفطرة السليمة، ويقف مع نفسه وقفة تأمل ويقين، بأن وجوده في هذه الدنيا ليس عبثا ولا لهوا، إنما لتحقيق عبودية المولى تبارك وتعالى؛ لأجل الفوز والسعادة في الدارين.

فإرسال الرسل، وإنزال الكتب؛ لئلا يبقى للناس حجة يوم القيامـــة قـــال تعـــالى: â ¼'

.[4] á @3'9$‰è/ ø ã «$'?ã Ä $Z=ï bqã ƒ ž¥ï ûïíÉ Ÿr ûïÎÅ6

وقد شاءت حكمة الله أن يكون الرسل من البشر؛ حتى يكون الاقتداء أو التأسي بهم أيسر، كما أن البشر أقدر على القيادة والتوجيه؛ وحتى يتمكنوا من مخاطبتهم، والفقه عنهم والفهم منهم[5].

وهم – عليهم الصلاة والسلام – حققوا عبودية الله أكثر من غيرهم، فكلما تمكـــن العبد في منازل العبودية كانت عبوديته أعظم والواجب عليه منها أكبر وأكثر[6].

---

(١) سورة الجمعة: ٢.

(٢) انظر الرسل والرسالات ٥١.

(٣) مع الأنبياء في القرآن، عفيف طباره ١٥.

(٤) سورة النساء: ١٦٥.

(٥) انظر الرسل والرسالات ٧١ – ٧٢.

(٦) مدارج السالكين (١٠١/١) .

فالأنبياء هم أكمل الناس توحيداً، والمرسلون منهم أكمل في ذلك وأولو العزم من الرسل أكملهم توحيداً، وهم نوح، إبراهيم، موسى – عيسى، محمد r - عليهم الصلاة والسلام – وأكملهم توحيداً الخليلان: محمد، وإبراهيم، صلوات الله وسلامه عليهما(١).

á M» _ ‘Š 0GØè/ ì ù‘r ª! $N=. `B NGØè/ 4?ã NGØè/ $Y Ù @ 7 â(٢).

وقد أيدهم الله بما يدل على صدقهم، وحجة ما جاءوا به من دلائل نبوتهم بالمعجزات(٣)، وبما عرف منهم من قرائن الأحوال.

فمثلاً محمد r أيده الله بالمعجزة الخالدة وهي القرآن الكريم، وقرائن الأحوال مثل: ما استدل النجاشي على نبوته فإنه لما استخبرهم عما يخبر به واستقرأهم القرآن فقرؤه عليه قال: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، وكذلك قبله ورقة بن نوفل لما أخبره النبي r بما رآه وكان ورقة قد تنصر، وكان يكتب الإنجيل بالعبرانية، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ما يقول فأخبره النبي r بخبره فقال: هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى، وإن قومك سيخرجوك فقال النبي r : أو مخرجي هم ؟ فقال: نعم لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي(٤).

كذلك الحوار الذي دار بين هرقل ملك الروم وأبي سفيان، حينما قدم في طائفة من قريش في التجارة إلى غزة فسألهم عن أحوال النبي r فسألهم هل كان في آبائه ملك ؟ قالوا: لا وهل قال أحد قبله هذا القول ؟ قالوا: لا، وسألهم أهو ذو نسب فيكم ؟ قالوا: نعم وسألهم هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقالوا: لا، ما جربنا عليه كذبا وسألهم هل يزيدون أم ينقصون، فذكروا إنهم يزيدون، وسألهم هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه، فقالوا: لا، وسألهم هل قاتلتموه؟ قالوا: نعم، وسألهم عن

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٥٣/١ – ٥٤) .

(٢) سورة البقرة: ٢٥٣.

(٣) تعريف المعجزة: العجز: الضعف تقول عجزت عن كذا أعْجِز وفيه دلالة على عدم القدرة على الشيء انظر لسان العرب (٣٦٩/٥) وفي الاصطلاح: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالمٌ من المعارضة الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ٧٤٣، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

(٤) أخرجه البخاري (٥/١) برقم (٣) ومسلم (١٣٩/١) برقم (٢٥٢) .

الحرب بينهم وبينه، فقالوا: يدال علينا المرة وندال عليه الأخرى، وسألهم هل يغدر؟ فذكروا أنه لا يغدر، وسألهم بماذا يأمركم؟ فقالوا: يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك بـــه شـــيئا وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف والصلة... الخ ما قال[١] وخلاصة الأمر في هذا الحوار أن هرقل استدل من خلال تلك الأسئلة على صحة نبوتـــه r من قرائن الأحوال[٢] والأنبياء والرسل هم صفوة الله تعالى الذين اختارهم لتلقي الوحي من ربهم، وتبليغ شرع الله، ودينه إلى الناس ولاسيما في شؤون العقيدة والعبادة قال ســـبحانه: $kÕè/ pÍê ÇÌÈ ûüÏ=»è‰$'?ã b°•ðÏã A#är OŠÏ°•ðÍ A#är %[nqçr PŠ#ä #"Üð $Ò$bÍ * â

á ÇÌÍÈ OŠÎæ ïì‹Ïœ ª! $r ‹Ù è/ .Ï[٣].

فالله اصطفى واختار هذه النخبة في السلوك، والخلق، والقيم؛ لأجـــل أن يكونـــوا معصومين عن الخلل بأصول الإيمان أو الاعتقاد وأصول الأحكام الشرعية والعلمية والعقليـــة قبل النبوة وبعدها[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٧٥/٣) برقم (٢٧٨٢) ومسلم (١٣٦٥/٣) برقم (١٧٤٥) .

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ١٢٦ – ١٢٧، الناشر مكتبة الرشد، ط الأولى ١٤١٥هـــ - ١٩٩٥م.

(٣) سورة آل عمران: ٣٣ – ٣٤.

(٤) انظر شمائل المصطفى r . أ. د. وهبة الزحيلي، دار الفكر ٤٩٧، ٥١٩، ط الأولى، ١٤٢٧هـــ - ٢٠٠٦م.

المبحث الأول

عبودية آدم عليه الصلاة

والسلام وعبودية الرسول r

المبحث الأول

عبودية آدم – عليه السلام –

شاء الحق تبارك وتعالى – أن يخلق الكون وفق إرادته وحكمته ليظهر كمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المتقنة المحكمة، وليثبت أنها لا تأتي إلا من قادر حكيم، وليعبد في هذا الكون، فإنه يحب عبادة العابدين ويثيبهم عليها على قدر فضله، لا على قدر عبادتهم وأفعالهم، وإن كان غنياً عن عبادة خلقه، لا تزيد في ملكه طاعة المطيعين، ولا ينقص في ملكه معصية العاصين(١).

قال الله عز شأنه: `Ï N¢ÏB ‰ƒíé$B ÇÎÈ Ïr‰çè<Ï ŠÎ) §ΡÝ¡Ï £‰Ïδ‰Ïm§=z $Br â

á ÇÎÈ ÏqÜÏÖãb& ‰ƒíé$Br 5Ïh(٢).

ومن مخلوقاته في هذا الكون: السموات، والأرض، فقد أخبر القرآن أنه خلقهما في ستة أيام وأن الله عز شأنه كان عرشه على الماء Ç$ƒ& þ©Å 'Î Ú öF{$ Ï°q»Jï 9$,={ " ï‰Ïqèr â

á ï$J‰Ï'?ã ¼çÖöã šc ‰Ÿ2 r(٣).

كما أخبر أن السموات والأرض كانتا متلاصقتين ففصل سبحانه بينهما وأنزل عليها الماء `Ï $Yè_r $JÏ»Yø Fÿù $Ï0 $FR‰Ÿ2 Ú öF{$ Ï°q»Jï 9$b& ÿÃy. ûïï‰Ï•ƒ Ï9r& â

$kŽÏù $Zè_r ÏÎ7 ‰šÜ? b& ÓÅ°r' ÇÚ öF{$'Î $Zè_r ÇÌÈ bqãBs¬ãÝù& ©r ãÓ« @ä ï$J‰Ï$

á ÇÌÈ br‰ÇÏ ÏÏ=ès)ø9 ‰[$Úïù(٤).

ثم إنه سبحانه هيأ الأرض، وجعل فيها الخيرات قال تعالى: Ïù& $)ùz ‰©& Ïâ‰ä â

‰è/ Ú öF{$ ÇÏÈ $g9tƒ Ï•z& r $g=ø · Üø& r ÇÏÈ $g1§ï ù $g3ð™ ì ù' ÇÏÈ $g8Y/ â$Kï 9$

---

(١) دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، لأحمد كمال العمري، ١٠٩.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦ – ٥٧.

(٣) سورة هود: ٧.

(٤) سورة الأنبياء: ٣٠ – ٣١.

ïãÜ»èRÇ r ïãC$Ÿ%GB ÇÌÈ $g9™ö& A$7ÅÆ ÇÌÈ $g8ãëBr $dä$B $kÞB l•z& ÇÌÈ $g8mŠ 7Ï℃E

.[1]á ÇÌÈ

فالذي خلق السموات العظام، وما فيها من الأنوار، والأجـــرام والأرض الكثيفـــة الغبراء، وما فيها من ضروريات الخلق، ومنافعهم لابد أن يبعث الخلق المكلفين فيجـــازيهم على أعمالهم، فمن أحسن فله الحسنى، ومن أساء فلا يلومن إلا نفسه[2].

- **خلق آدم – عليه السلام –**

حكى القرآن الكريم قصة آدم – عليه السلام – والحكمة في خلقه قال الله سبحانه:

$kŽÏ ‰ÅÏøãà`B $kŽÏ @è%øB& #(þàß% ÆÏy‹Ïz ÇÚ öF{$'Î@Ïä%` 'ÑÏþ3Í»=JÏÏ šÍ•Ï‘ A$%ÏØÎr â

.[3]á ÇÌÈ bqßJ=è? ÏÏw $B ß=ã& þÏÑ) A$% 7 9 â ÏÏ‰ß)ßr 8Ï‰ÒÏt2 ßxÎm ç7ÏÏtÚr ä$BÏÏ!$à7ÏÏyó„r

ولما خلق الله آدم – عليه السلام – من تراب، ثم من طين، ثم من طـــين لازب، ثم صلصال من ماء مسنون، ثم صلصال كالفخار كما أشار إلى هذه المراحل القرآن.

المرحلة الأولى: خلقه من تراب، قال تعـــالى: PŠ#ä ß@VJ.«‹Ï$%ZÏà á¤ŠÏà ÏØVB žc Î â

.[4]á ÇÎÏÈ ßqà2‹ù`ä¼ç9 A$% ÒÏ5>#•Ï`B ¼ç)=z

المرحلة الثانية: خلقه من الطين، قـــال تعـــالى: `ÏB #Ž³0 7Ï‹»z 'ÑÏþ3Í»=JÏÏ 7Ï‘ A$%ÏØÎ â

.[5]á ÇÏÈ ßÚÛ وذلك بأن مزجت حفنة التراب المأخوذ مـــن الأرض بالمـــاء، فصارت طينا[6]

المرحلة الثالثة: خلقه من طين لازب، قال عز شأنه: ôB P& $)ùz ‰©& ÏÏÒ& ÏÏÍÉ¶9$Ï â

.[7]á ÇÏÈ ¥>Ï–ŽÚ ßÚÛ `ÏB NßÜ»¥Ø=ß{ $ÑÎ) $ZÏØ=z

---

(١) سورة النازعات: ٢٧ – ٣٣.

(٢) تفسير السعدي: ٩١.

(٣) سورة البقرة: ٣٠.

(٤) سورة آل عمران: ٥٩.

(٥) سورة ص: ٧١.

(٦) القصص القرآني (١/٩٢) .

(٧) سورة الصافات: ١١.

وهذه المرحلة ناتجة عن تحويل الطين الرَّخو بسبب الماء، في المرحلة السابقة إلى (طين لازب) شديد متماسك كثيف غليظ، وذلك تمهيداً لتجميده وتيبيسه، ليصنع منه تمثال آدم -عليه السلام -[١]

المرحلة الرابعة: خلقه من صلصال من حمأ مسنون قال تعالى: â r'ŷÎ) A$% ‘7 J¾ÏÞ=Í3¯ ’Îoõ
z 7î ±0 #•Ö `B @»|Á ù¹ @Ö ôB *Jm B óÎ5 qãZó¡¨È á[٢].

المرحلة الخامسة: خلقه من صلصال كالفخار قال تعالى: â {= Y$šM$ ¡|» ` Ö ` ¹ù Á|»@
$#ÿ ¤$ Í ÈÌÇ á[٣].

وبعد أن خلقه ونفخ فيه من روحه، علمه أسماء الأشياء وحقائقها وخواصها ليتمكن في الأرض، وينتفع بها حق الانتفاع وأراد أن يري الملائكة شرف آدم عليه السلام ومكانتــه وأنه أكثر منهم علما وأوسع معرفة قال سبحانه وتعــالى: â r æ=N ä#ŠP$ ¯ ¡Ï ÿ$ä =g$ ê§

ä• Î ä?' $#J¾ Í3¯ ù) A$ Ró¡ '?Îq ' Î 'Jõ$ä ?d à ¬wã bÎ) ä ßZ ¹ ó ‰¶Ïü ÈÌÇ ‘$%q% $ Ÿ s»7 ¹w

N ÏÒ 9$ Z ¹B $ Ÿ ã=Ð 6 F YB Î) R7 M$ø$Ž Î ãt Å Š9$ ÈÌÇ A$% Î ¤q 'NÎŠ ¡$ 'Î ù=Ò ¨$B =ù Ò ‘6 N

'Î ¨$ÿ ÍNÎ $% A$%) N9 ÷ ø@%& 6 N3 9 Î) bÎ) ¢à =æ N ÿ q»K ¡ ¡9$ =ø Ï $ ‘ Ø ô r N Ï B $B æ r N ã Ç r $B $B Y ä $ Br

?3ç N¯ bq ÈÌÇ á[٤].

ومن تكريم الله وتعظيمه لآدم _عليه السلام_ أمر الملائكة بالــسجود لآدم _عليــه السلام_ وقد دل على ذلك أحاديث منها: عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: (قـــال رسول الله r : احتج آدم وموسى – عليهما السلام – عند ربهما، فحج آدم موسى، قـــال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأســـجد لـــك ملائكتــه وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض...).

---

(١) القصص القرآني (٩٢/١) .

(٢) سورة الحجر: ٢٨.

(٣) سورة الرحمن: ١٤.

(٤) سورة البقرة: ٣١، ٣٣.

وقال تعالى: ﴿ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ۖ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ .

وقد سأل المولى عز شأنه إبليس عن امتناعه للسجود، وهو سبحانه يعلم ذلك قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ .

قال ابن كثير – رحمه الله – ومعنى قول إبليس هذا – أنه نظر نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم، فرأى نفسه أشرف من آدم، فامتنع من السجود له، مع وجود الأمر له ولسائر الملائكة بالسجود.

والمقياس إذا كان مقابلا بالنص كان فاسد الاعتبار، ثم هو فاسد في نفسه، فإن الطين أنفع وخير من النار؛ لأن الطين فيه الرزانة والحلم والأناة والنمو، والنار فيها الطيش والخفة والسرعة والإحراق(١).

كما أبدى إبليس العذر في عدم السجود فكان عذره أقبح من ذنبه.

قال تعالى: ﴿ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ۖ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ .

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾ .

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ .

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ .(٢)

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير : ١١

(٢) سورة الإسراء: ٦١ – ٦٥.

ومن تشريف الله لآدم - عليه السلام- أمره عز سلطانه أن يسكن هو وزوجه الجنة.

قال تعالى: $JÇ¤Ø© ß¸ ø‌m #‰ î ' $gŽÐ Ÿx är pŸgø‌$7 ã‌ŕ–r MR& ô‌ãÕ™$ÐŠ$«»ƒ $Zèär â :

.(١) á ÇÌÎÈ ûüÏí»‌ù9$` Ð $Rqã‌Fù o• f ±9$ÍÉ»d $/•ø? Ÿwr

وقال جلت حكمته: 41& š [$Îî) wÎ) (Ÿw‰ f ¡ù PŠkx (r‰Ó7™$ðp 6 Í=Jtƒ $Yèø)r â

7 9 ÞÎ) ÇÐÈ #+ãFù ðŸ f ø‌$` Ð ‰ãŸ_ì÷‚ ãŸù š• Å‌ŕ“Ïr 7 ©A‰ã # ‹ »d ÞÎ) Ð$Š$«»ƒ $Zèãù ÇÍÈ

.(٢) á ÇÍÈ ósÒ? Ÿwr $kŽÏù (ãJâ? Ÿw 7 Rr ÇÑÈ 3‘ •è? Ÿwr $kŽÏù íqÐB ïv&

إن سياق هذه الآيات يقتضي أن خلْق حواء كان قبل دخول آدم _عليه السلام_ إلى الجنة لقوله تعالى: á pŸgø‌$7 ã‌ŕ–r MR& ô‌ãÕ™$ÐŠ$«»ƒ â فمعنى ذلك أن الله عظمت قدرته خلقها أولا، ثم أمرهما معاً بدخول الجنة وهو ظاهر هذه الآيات(٣).

وأيضاً أنه تبارك وتعالى أخبر الناس أنه بدأ خلقهم من نفس واحدة $k‘$»ƒ â

#ŽÐ. ïv‰ `Ï $kãèÐ ß¸ /r $g_ŕ– $kÐ ,=z r ç‰ïnºr ‹s ÿ¼ `Ð /ã)={ “ Ï‰$Ðã/‘ (qãè‰$âˆ $Z9$

.(٤) á ß¸$ ¡Ïr

وفي الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله r قال: "استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً"(٥).

فلما أمر الله آدم وزوجه بدخول الجنة، قال له: ها هي ذي دار الخلد، جعلتها لك منزلا ومقاما، فإن أطعتك كافأتك بالإحسان، وخلّدتك في الجنان، وإن تركت عهدي أخرجتك من داري، ثم حذره من عدوه وعدو المؤمنين إبليس، بأن لا يسمع له رأيا، ولا

---

(١) سورة البقرة: ٣٥.

(٢) سورة طه: ١١٦ – ١١٩.

(٣) دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: ١٣٠.

(٤) سورة النساء: ١.

(٥) أخرجه البخاري (٢١٣/٣) برقم (٢٣١٥٣) ، ومسلم (١٠٩١/٢) برقم (١٤٦٨) .

يعصي لربه أمراً، وأباح لهما الأكل من الجنة رغدا حيث شاءا وأطلق لهما العنان في اجتناء ما يريدان من ثمارها، ونهاهما أن يقربا شجرة من بين أشجارها الكثيرة وعينـــها لهمـــا تعيينـــاً واضحاً دقيقاً؛ لإزالة كل ريب قد يتسرب إلى نفسيتهما، وتوعدهما بالـــدخول في زمـــرة الظالمين إن قربا منها أو تناولا شيئا من ثمارها(١) فقال تعـــالى: â ¨b Î) y7s9 žwr& tíqàfè? $pkŽÏù Ÿwr& 3"t÷ès? ÇÊÊÑÈ y7¯Rr&ur Ÿw (#às¯Jôàs? $pkŽÏù Ÿwr& 4ÓysôÒs? ÇÊÊÒÈ á(٢).

ولكن الحسد والحقد الدفين في نفس إبليس جعله لا يقر له قرار، ولا يـــركن بـــأي حال، إلا بإغرائهما وخداعهما في الأكل من هذه الشجرة، فأوهمه بأنه صادق الود، مخلـــص في النصح، ثم جدَّ في استحالته إليه، فلم يترك سبيلاً إلا ولجه أو بابا إلا طرقه، وأظهـــر لـــه ولزوجه عطفه عليهما، وإشفاقه من زوال نعمتهما(٣) فقـــــال:

â $B /ä38hR $yJä3š/u' ô`tã ÍnÉ»yd Íotyf¤±9$# HwÎ) br& $t Rqä3s? Èû÷ütx6n=tB ÷rr& $t Rqä3s? z`ÏB šúïÏ$Î#»sƒø:$# á(٤).

فعاتب الله آدم _عليه السلام_ وزوجه لتنبيهه وتنبيه ذريته مـــن دســـائس إبلـــيس والاحتراس من وسوسته، ولذلك يقول تعـــالى: â ûÓÍ_t6»tƒ tPyŠ#uä Ÿw ãNà6¨YoYÏFøÿtƒ ß`»sÜø‹¤±9$# !$yJx. ylt÷zr& Nä3÷ƒuqt/r& z`ÏiB Ïp¨Yyfø9$# äíÍ"\tƒ $yJåk÷]tã $yJåky$t7Ï9 $yJßgtƒÎŽãÏ9 !$yJåkÌE¨uäöqy™ 3 ¼çm¯RÎ) öNä31ttƒ uqèd ¼çmè=‹Î6s%ur ô`ÏB ß]ø‹ym Ÿw öNåktX÷rts? 3 $¯RÎ) $oYù=yèy_ tûüÏÜ»uŠ¤±9$# uä!$uŠÏ9÷rr& tûïÏ%©#Ï9 Ÿw šcqãZÏB÷sム?ÇËÐÈ á(٥) فالمقصود من التصوير الوارد في قوله: â 4Ó|Âtãur ãPyŠ#uä ¼çm/u' 3“uqtósù ÇÊËÊÈ á(٦).

هو التنصيص على أن الله رفع الإصر عن آدم - عليه السلام - حيث قـــال : â §NèO çm»t6tFô_$# ¼çm•/u' z>$tGsù Ïmøn=tã 3“y‰ydur ÇÊËËÈ á(٧) فصار كأنه لم يأكل من الـــشجرة، وقـــد اقتـــضت حكمته جلت قدرته أن يأكل آدم وزوجه من الشجرة، وكل هذا كان في علمه الأزلي، وأنه

---

(١) انظر: قصص القرآن، لمحمد جاد المولى: ١١ بتصرف يسير.

(٢) سورة طه: ١١٨ – ١١٩.

(٣) انظر: قصص القرآن، لمحمد جاد المولى، ١١ – ١٢، بتصرف يسير.

(٤) سورة الأعراف: ٢٠.

(٥) سورة الأعراف: ٢٧.

(٦) سورة طه: ١٢١.

(٧) سورة طه: ١٢٢.

يعلم ذلك لا محالة؛ لأنه لابد وأن يسكن الأرض ويعمرها وذريته من بعده، ويجعل الله فيهم خيراً كثيراً وعباداً صالحين، وأنبياء مرسلين وكان هذا البلاء لآدم لحكم أرادها سبحانه لا نعلم منها إلا ما أظهره الله لنا[١].

ولكن عبودية التوبة والإنابة والندم كانت ظاهرة جلية في هذا الموقف من آدم _عليه السلام_ وزوجه حينما قال الله لهما [illegible] [٢].

حيث رفعا أكفهما إلى خالقهما اعترافا بخطئهما مستغفرين لما بدر منهما حيث قالا: [illegible] [٣].

وقال أيضاً: [illegible] [٤].

وقال في موضع آخر: [illegible] [٥].

فقد أخبر جلت حكمته أن للعبد في هذه الدنيا طريقين: الإيمان والكفر، والهدى والضلال والحق والباطل، فمن حقق عبودية الله في أرضه، وسلك صراطه المستقيم فقد فاز وأفلح ومن نكص على عقبه باختياره طريق الضلال فقد هلك وخسر.

---

(١) قصص الأنبياء القصص الحق ٣٧ بتصرف يسير.

(٢) سورة الأعراف: ٢٢.

(٣) سورة الأعراف: ٢٣ – ٢٤.

(٤) سورة البقرة: ٣٧.

(٥) سورة طه: ١٢٣.

- **نبوة آدم – عليه السلام -:**

آدم – عليه السلام – هو أول الأنبياء، والذي يدل على ذلك ما رواه أحمد والحاكم عند أبي أمامة – رضي الله عنه -: أن رجلاً قال: يا رسول الله، أنبي كان آدم ؟ قال: "نعم. مُعَلَّمٌ مُكَلَّم"(١).

وقد بعثه الله نبياً إلى بنيه حيث بلغهم دين الله ودعاهم إلى عبادته وحذرهم من الشيطان.

وأكل آدم _عليه السلام_ من الشجرة ناسياً لا يطعن في نبوته؛ لأنه أكل منها ناسيا والنبي قد يقع في المخالفة ناسياً غير عامد(٢).

- **احتجاج آدم موسى – عليهما السلام -:**

روى مالك وأبو داود عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عن النبي r قال: (قال موسى: يا رب، أبونا آدم، أخرجنا ونفسه من الجنة !

فأراه الله آدم. فقال: أنت آدم ؟ فقال له: نعم.

قال: أنت الذي نفخ الله فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك الأسماء كلها قال: نعم.

قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة.

فقال له آدم: من أنت ؟ قال: أنا موسى.

قال : أنت موسى نبي إسرائيل، الذي كلَّمك الله من وراء حجاب، فلم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه ؟ قال: نعم.

قال: فتلومني على أمر قد سبق من الله القضاء قبلي.

قال رسول الله r عند ذلك: فحجَّ آدمُ موسى، فحجَّ آدمُ موسى)(٣).

---

(١) الحديث في المستدرك (٣/٨٣) ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٤/ ٦٠) ومن هذا الوجه أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٥١٧) وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٥٥٤) كلهم من حديث أبي أمامة .

(٢) قصص القرآن، للخالدي (١/١٤٠) .

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٥٦٠) وأبو داود برقم (٤٧٠١) .

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله r قال: (حاج موسى آدم عليهما السلام.

فقال له: أنت الذي أخرجت الناس بذنبك من الجنة وأشقيتهم ؟

قال آدم: يا موسى: أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه أتلومني على أمر قد كتبه الله عليّ أو قدره علي قبل أن يخلقني.

قال رسول الله r : فحجَّ آدمُ موسى)[1].

قال ابن كثير – رحمه الله – :

قال: "إنه لامه على إخراجه نفسه وذريته من الجنة.

فقال له آدم: أنا لم أخرجكم وإنما أخرجكم الله، الذي رتب الإخراج على أكلي من الشجرة، وقد رتب ذلك وكتبه وقدره عليَّ قبل أن أخلق فأنت تلومني على أمر ليس له نسبة إليّ، أكثر من أني نهيت عن الأكل من الشجرة فأكلت منها وكون الإخراج من الجنة مترتبا على الأكل، ليس من فعلي وإنما هو قدر من الله.

فأنا لم أخرجكم ولا نفسي من الجنة؛ لأن هذا الإخراج كان من قدر الله وضعه وله الحكمة في ذلك[2].

كما أن من الواجب على جميع الخلائق يلتزموا بحدود الأدب مع أبيهم آدم – عليه السلام – ؛ لأن الكثيرين منهم يعتقدون أنه كان السبب في حرمانهم جميعا من حياة النعيم... وفي الحقيقة: هو أمر مكتوب عليه قبل أن يخلق فلا لوم عليه ولا تقريع[3] بعد أن أسمعنا قوله تعالى: á Ø‹ îz Ç‹ öF$'î@ä% ` 'ðþ3Í»=Jšð• ‘ A$% Øîr â[4].

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح في باب قوله (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) برقم (٣٤٠٩) وفي مواضع أخرى برقم (٤٧٣٦، ٤٧٣٨ ، ٦٦١٤ ، ٧٥١٥) وأخرجه مسلم (٨/ ٤٩) برقم (٦٨٣٦) .

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير: ٢٤ بتصرف يسير.

(٣) التائبون في القرآن: ٣٥.

(٤) سورة البقرة: ٣٠.

عبودية الرسول r

محمد r خاتم الأنبياء والمرسلين، الجوهرة الباهرة، والدرة الزاهرة وواسطة العقد الفاخرة[١] صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، وهو السيد الذي يفتخر به أهل الجمع، ويغبطه الأولون والآخرون يوم القيامة لم تعرف البشرية قاطبة أحداً على مدى تاريخها الطويل أفضل، ولا أكرم ولا أعظم، ولا أ علم من محمد بن عبد الله r .

فالنبي r عبد من عباد الله الصالحين، ومملوك من مماليكه، وصفه البارئ بالعبودية الخاصة كما قال تعالى: á ¼ç‰6ãã ×$ $3î ª! $ § ø‹ â [٢].

كان يحب هذا الوصف – عبد الله ورسوله – ويفضله على غيره فيقول: (لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم إنما أنا عبد الله؛ فقولوا عبد الله ورسوله[٣]).

فلما أكمل الله له مقام العبودية صار يكره أن يُمْدَح صيانة لهذا المقام، وأرشد الأمة إلى ترك ذلك، نصحاً لهم، وحماية لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يفسده، أو يضعفه من الشرك ووسائله[٤] â [٥] ذكره سبحانه في مقام إنزال الكتاب عليه، تلك المنزلة الشريفة بلفظ العبودية فقال: â bÎr â : 5=≠‘ ’ îNÇZà2 bqà‹ï ¾íï‰6ãã 4?ã b$‰ø‹øA"R " ï‰8 ‘$6? â : وقال á $Rï‰7ãã 4?ã $Z‹R $ÆÏ [٦]. á Ç¦È #•ƒÉR šú üÏ=»ètï [٧].

---

(١) قصص الأنبياء، لابن كثير ١١٩.

(٢) سورة الزمر: ٣٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في عدة مواضع من الصحيح برقم (٢٤٦٢، ٣٤٤٥ ، ٣٩٢٨ ، ٤٠٢١، ٦٨٢٩، ٦٨٣٠ ، ٧٣٢٣) ، وأخرجه مسلم برقم (٤٤٣٦) .

(٤) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ٧٣٢ – ٧٣٣، فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد (٦/١) .

(٥) سورة البقرة: ٥٩.

(٦) سورة البقرة: ٢٥.

(٧) سورة الفرقان: ١.

وقال: [illegible] [1].

كما ذكره بالعبودية في مقام التحدي بأن يأتوا بمثل هذا القـــرآن: [illegible] [2].

وذكره بالعبودية في مقام الإســـراء وقـــال: [illegible] [3] وفي الإيحاء[4] وفي الحديث: "أنا عبد. آكل كما يأكـــل العبد وأجلس كما يجلس العبد"[6].

وكان رسول الله ﷺ أعرف الخلق بربه جَل جلالهَ متعبداً له بجميع أسمائه وصفاته وسيرته ﷺ تترجم هذا فكان ﷺ يظهر ذله وافتقاره في كل شأنه[7] ومن ذلك:

١) إخلاصه العبادة لله وحده إخلاصاً خالياً من الشرك والرياء وغير ذلك قال سبحانه في سورة الزمر [illegible] [8].

---

(١) سورة الكهف: ١.

(٢) سورة الجن: ١٩.

(٣) سورة الإسراء: ١.

(٤) مدارج السالكين ١/١٠٢ – ١٠٣، العبودية ٤٢ – ٤٣.

(٥) سورة النجم: ١٠.

(٦) أخرجه أبو يعلى (١٠/١٨٠) من حديث أبي معشر عن سعيد عن عائشة عن الـــنبي صـــلى الله عليـــه وســـلم وأخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم (١٤٢) من طريق عبد الله بن عبيد بن عمير عن عائشة وأخرجه بان المبارك في الزهد (٣٥٢) عن الحسن مرسلا . وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٠/ ٤١٥) عن معمر عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا ، وأخرجه البيهقي في الـــشعب (١٢/ ٤٥٨) مـــن طريق عبد الرزاق عن معمر عن يحيى بن أبي كثير مرسلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخرجه ابن ســـعد في الطبقات (١/ ٣٧١) من طريق ابن المبارك عن معمر بهذا ، وأخرجه ابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه من حديث أنس (٤٧٦) ، وهكذا أخرجه ابن عدي في الكامل (٥/٣٣٤) .

(٧) تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات، تأليف فوز الكردي ٨٧.

(٨) سورة الزمر ١١ – ١٤ .

فهو عليه الصلاة والسلام مأمور بإخلاص العبودية لله تعالى وحده لا شريك له ، ومأمور أيضاً بأن يكون أول من أسلم من هذه الأمة في مخالفة دين الآباء الوثنيين، وتوحيـــد الله وأول من انقاد لله تعالى من أهل هذا العصر أو القوم؛ لأنه أول من خالف عبّاد الأصنام وعبودية الخوف كان سمة بارزة في شخصيته صلى الله عليه وسلم فكان يخشى إن عصى ربه بترك إخلاص العبودية له سبحانه أن يكون من الذين استحقوا العذاب العظيم يـــوم القيامة ، ثم أكد الأمر بالإخلاص في الطاعة للدلالة على أنه يعبد الله وحده لا ند له ولا مثيل، وقال تعالى : á ¥ïî 8îõéwr ©$‰çã& Ь& ÝV ëÉé$JÏ Ïè â [1] ، وقال سبحانه: w 'í$Br â : á $gBsm “ ‰$ÍÍ$ÉÉ»d žU ‘ ‰çã& Ь& ÑëÉé$JÏ â [2] ، وقال أيضاً : á Ç:È bqã_ëïø Ïr 'Î•Üù “ ‰$ÍÍ$ÉÉ»d žU ‘ ‰çã& [3] .

٢) نهيه e عن عبادة معبودات غير الله لا تنفع ولا تضر قال سبحانه: Ь& ÑÍÍç 'ÏÏ Ïè â : á «!$ÈÈrß `Ï bqãß? šú ï‰$‰çã& 'Îëžäb Ïâ $Z9$$Ks7 Ïè â [4] ، وقال سبحانه: á «!$ÈÈrß `Ï brßöè? ûï‰$‰çã& lx ù ÓÍ_ƒß `Ï ¨ [5] فهو صلى الله عليه وسلم يأمر أهل مكة وغيرهم من الناس إلى يوم القيامة بأن يتبعوا دينه، إن كنتم في شك من صحة ما جئتكم به من الدين الحنيف الذي أوحاه الله إليّ ، فاعلموا وصفه وأنه لا مجال للشك فيه، وهو أني لا أعبد الذي تعبدون من دون الله من حجارة وغيرها؛ لأنها لا تـــضر ولا تنفع، بل أعبد الله وحده لا شريك له ، الذي يتوفاكم كما أحياكم، ثم إليه مـــرجعكم

---

(١) سورة الرعد : ٣٦ .

(٢) سورة النمل : ٩١ .

(٣) سورة يس : ٢٢ .

(٤) سورة الأنعام : ٥٦ .

(٥) سورة يونس : ١٠٤ .

وأن أكون من المؤمنين إيماناً حقاً بالله العارفين به تمام المعرفة[١] وفي هذا دليل قاطع على أن عبودية الله هي الدين الحق وما عداه من المعبودات فمقطوع ببطلانها.

ولهذا لما دعاه قومه إلى عبادة الأصنام محتجين عليه بأنه دين آبائك قال – عليه السلام-: أتأمروني أيها الجهلة بعبادة غير الله بعد أن قامت الأدلة القطعية على تفرده بالألوهية فهو خالق الأشياء كلها وربها ومدبرها فلا تصلح العبادة إلا له سبحانه[٢]، قال تعالى : â Ïè@ á ÇïÍÈ bqèdϑ»gø$$Ïk$ Ïm÷ç7ã$ pöyèøtƒ ¾ Ïmîn/u$.[٣]

٣) أن الله سبحانه وتعالى لما أنزل على نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم – القرآن الكريم كان أهم أمر وأبرز قضية ركز عليها هذا الكتاب هي عبودية الله تعالى، قال تعالى: â ÇÍÈ šú ïÏ!$yϑ¡¡9$# ¨bÎ) ©!$# tβ%x. ö/ä3s9 ÏM»ysÎ=»¢Á9$# (فكل ما في القرآن حق من حيث إثبات التوحيد والنبوة والمعاد والأوامر والنواهي وغير ذلك .

وأمره – عليه الصلاة والسلام – بالعبودية في قوله "فاعبد الله " أمر له ولأمته من بعده حيث أن العبادة الصحيحة المقبولة عند الله هي بإخلاصها لله وحده وباتباع سنة محمد e .

وكما أمره سبحانه بالعبودية أمره أيضاً بالشكر لله تعالى على أن أنعم عليه بنعمة الهداية والتوفيق والإيمان بالله وحده وتشريفه بالرسالة والدعوة إلى دين الله تعالى قال سبحانه: â ÇÍÈ ûïÏ$¨Ζ9$# ¨βÎ) ©!$# 4’n?tã ÏM»tƒÏ‰¢Á9$# (.[٤]

---

(١) التفسير المنير (٦/٣٠١) .

(٢) انظر المصدر السابق (١٢/٣٦٣) بتصرف يسير .

(٣) سورة الزمر : ٦٤ .

(٤) سورة الزمر : ٦٦ .

٤) مقام خشية الله وخوفه وتعظيمه، ولا شك أن من كان بالله أعرف كان له أخوف يقول المصطفى r : (أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له)[١].

٥) البكاء، عن عبد الله بن الشخير* – رضي الله عنه – قال: (أتيت النبي r وبجوفه أزيز[٢] كأزيز المرجل[٣]؛ يعني يبكي)[٤].

٦) التوبة والاستغفار: عن ابن عمر – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله r : (يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم مائة مرة)[٥].

٧) كان خاتم الأنبياء والمرسلين يكثر من الدعاء والإلحاح والتضرع لله تبارك وتعالى: [٦].

[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/٧) برقم (٥٠٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه ، وأخرجه مسلم في (باب بيان تقبيل الصائم ليست محرمة) برقم (٢٦٤٤) .

(*) عبد الله بن الشخير، بكسر المعجمتين الثانية ثقيلة أي الخاء – ابن عوف بن كعب العامري ثم الكعبي صحابي سكن البصرة وبها توفي ترجمته في طبقات بن سعد ٢٢/٧، ثم أسد الغابة ٢٧٤/٣، الإصابة ٣١٦/٢.

(٢) الأزيز بفتح الهمزة غليان القدر، معجم مقاييس اللغة (١٣/١ – ١٤) .

(٣) المرجل بكسر الميم وفتح الجيم، القدر من الحجارة والنحاس، لسان العرب ٢٧٤/١١.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢٥/٤، ٢٦) وعبد بن حميد برقم (٥١٤) وأبو داود برقم (٩٠٤) والترمذي في الشمائل رقم (٣٢٢) والنسائي في المجتبى (١٣/٣) كلهم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره.

(٥) أخرجه مسلم باب (استحباب الاستغفار والإكثار منه) من حديث أبي برده عن الأعرج المزني وكانت له صحبة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره برقم (٢٧٠٢).

(٦) سورة الأنفال: ٩.

(٧) سورة البقرة: ١٨٦.

٨) كان خاشعاً لله – سبحانه – إذا كان في مصلاه – صلوات ربي وسلامه عليه – حيث كان يستشعر قيام قلبه بين يدي ربه بالخضوع والذل والجمعية عليه[١] قال سبحانه: [٢].

٩) كان زاهداً ورعا، قال ابن القيم – رحمه الله -: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – يقول: الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع: ترك ما تخاف ضرره في الآخرة وهذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد والورع وأجمعها[٣].

كان من ورعه : "أنه مرَّ بتمرة في الطريق فقال: لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها"[٤].

١٠) كان كثير العبادة كثير التبتل والقيام لله تعالى، قال سبحانه: [٥] أي أخلص له إخلاصاً في العبادة والمسألة والدعاء[٦].

وقال سبحانه: [٧].

١١) التواضع ولين الجانب قال سبحانه: [٨] [٩].

عن قتادة قال: المخبتين: المتواضعين[١٠].

---

(١) مدارج السالكين (١/٥٢٦) .

(٢) سورة المؤمنون: ١ – ٢.

(٣) مدارج السالكين (٢/١٠).

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح (٢/٧،٩٤) ، ومسلم في باب تحريم الزكاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله (٢/٧٥٦) برقم (١٠٧٠، ١٠٧١) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٥) سورة المزمل: ٨.

(٦) انظر تفسير ابن جرير (١٢/٢٨٧) .

(٧) سورة المزمل: ٢٠.

(٨) سورة الحجر: ٨٨.

(٩) سورة الحج: ٣٤.

(١٠) تفسير ابن جرير (٩/١٥١) .

فهذا نعت المخبتين يقول تعالى ذكره لنبيه r : وبشر يا محمد المخبتين الـذين تخـشع قلوبهم لذكر الله وتخضع من خشيته وجلاً من عقابه وخوفا من سخطه[١].

وفي الحديث عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – (أن رجلاً قال: يا محمد يا سـيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله r : يا أيها الناس: عليكم بتقواكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل"[٢].

١٢) كان صلوات ربي وسلامه عليه يجمع بين أساسيات العبادة وأركانها المحبـة والخـوف والرجاء قال تعالى: Ü•ø ¼ ¸ '#‹Âqø DÎ‘ 4‹Î šc qáÓ šc qãß ûï¼ 7 ¯ rêâ :

á ¼ #‹ã šc qè† r ¼ JÎ‘ bqã ör[٣].

١٣) إخلاصه لربه تبارك وتعالى في عبوديته: $B r ç ÇÍÈ Ó ƒ ¼ 7 Á Â ê ç ©Èê â

á ¼ r `B [٤].

ß ƒ ! $ ÇÈ šú ! $ © Á Â ê © $ ‰ ç $ è =»FÅ6 š• Î) $ Z R $ R) â

á [٥] فمن كان مخلصاً لله في عبوديته فلا يقول عنه إلا صدقا.

١٤) كما أمره سبحانه بالاستقامة على هذا الدين فقـال: > $? `Br N J. $ â :

á [٦] أي استقاموا على محبته وعبوديته فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسره[٧] .

---

(١) تفسير ابن جرير (١٥١/٩) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٥٣/٢) و(٢٤١/٢) وعبد بن حميد في مسنده برقم (١٣٠٩) و (١٣٣٧) والنـسائي في عمل اليوم والليلة (٣٤٩) كلم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنـه ، وأخرجـه أحمد (٢٤١/٢) من طريق حماد بن سلمة عن حميد الطويل عن أنس بهذا .

(٣) سورة الإسراء: ٥٧.

(٤) سورة الزمر: ١٤ – ١٥.

(٥) سورة الزمر: ٢ – ٣.

(٦) هود: ١١٢.

(٧) مدارج السالكين (١١٢/٢) .

وقال سبحانه آمراً نبيه باتباع ملة إبراهيم حنيفا: OŠüº•ó) 'Ëß ôÎ?$È& 7 øÎ) $Zßm÷& ßÊâ : á ÇÌÈ ûüÅ2 Îô ß¾ß`Ï b¾. $Br $ŸZ‹Ïm [1] .

١٥) عبودية الصلاة لله تعالى، فقد أثنى عليه سبحانه في كتابه فقال: á ÇÈ#©¹ #Œ) #‰ãâ â [2] فقد وصف الله رسوله بلفظ العبودية، وفي هذا إشارة إلى أن عبودية الصلاة من أرقى المعاني والصفات التي يتصف بها أولياء الله وأحبابه .

١٦) التوكل: وقد جمع الله بين العبادة والتوكل[3] وأمر بهما نبيه محمداً r ، فقال: â ÷r 7ƒ‘ $Br ïøã @ž2 q?r ç¾ßçã¾ ä÷èßF$ß _ëïøÎr ÇÚ öF{$ ÏNºq»Jï 9$Ü øî .[4] á ÇÌÈ bqèJè? $ã @ÿ»ó

ã¾ 7ïqm ôÏ{qÒÿRw É÷ß á‹î âù MÝäÿ9r ßG9 MZÏ‹$`Ï7Jôn‘ $Jîù â

=ïã©$bÎ ‹$’?ã @Gù MØ•ã Œfù ÍF{$’Î ßÍÿ$©r ßç; ëÝóGÝ$ ßã¾ã

ûï,ïJqGß¾ [5] á ÇÎÈ .

وجه الشاهد: â جاء في الآية ما ينص صراحة على أمره عليه الصلاة والسلام بالتوكل.

١٧) الصبر ، وقد أمر الله نبيه بالصبر في كتابه في نحو عشرين موضعا[6].

---

(١) سورة النحل: ١٢٣.

(٢) سورة العلق : ١٠

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/١٨ – ١٩) .

(٤) سورة هود: ١٢٣.

(٥) آل عمران: ١٥٩.

(٦) الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن بن حنبكه الميداني (١/٤٦٧) دار القلم، دمشق، ط الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

ẅv) 8ǯ¹ $Br ǽ- $ â [1]á ⅂ç @É è Ó ẅr @ 3 9$ ` Ü è (qǽ ž9 ¹ $J. ǽ- $ â

@ r Ás ð± 9$ Æ qè @ 7 î ‰ ðt2 ôî r šc qǽqà f $B 4? ã ǽ- $ â [2]á ‹ $

.[3]á Çí È šqǎ • ¡ 9$ •»/š r ç s î ù è ǽ$ ` r ÇÌÈ é ræǽ$

ففي الآية الأخيرة أمره بالصبر، وأن يلزم لسانه دوام ذكره بالتسبيح والتحميد، وقد كان _عليه الصلاة والسلام_ المثل والقدوة الحسنة في عبودية السراء والضراء، وقد ابتلي بلاء عظيما — خصوصاً — فيما لاقاه مع خصومه ضد دعوة الإسلام فكان ممن قال الله فيهم:

ǽè 7 í »9 r é (q ‰ ¹ û ï ¼ 7 í »9 r é Ä ¼ ǽ$ û ü î r ä ž ǽ 9$ r ä ™ ¼ ǽ$ ' î û ï Ê é Á 9$ r â

. وقال: [4]á bqà ǽ- $ [5]á ¾ ï ‰ » 6 ê ǽ Ü ð $ r q ç ã $ â :

١٨) دوام شكره لربه فقال سبحانه: @ < ‰ r â . [6]á šc qã _ ê ï ø) ẏ (r á 3 0 $ r ç ‰ ç ã $ r â :

.[7]á â q ã ± 9$ " Š $ 6 ã ô Ë

وقال سبحانه: [8]á Çï È û ï À Â » ± 9$ š Æ Ë ` ä r ç ã $ © $ ê / â :

وفي الصحيحين عن النبي r : (أنه قام حتى تورمت قدماه، فقيل له: تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: أفلا أكون عبداً شكورا) [9].

---

(١) سورة الأحقاف، ٣٥.

(٢) سورة النحل: ١٢٧.

(٣) سورة ق: ٤٠

(٤) سورة البقرة: ١٧٧.

(٥) سورة مريم : ٦٥ .

(٦) سورة العنكبوت: ١٧.

(٧) سورة سبأ: ١٣.

(٨) سورة الزمر : ٦٦ .

(٩) أخرجه ابن ماجه برقم (١٤٢٠) والترمذي في الشمائل ص٢٦٣، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٧٥) .
وعبد الرزاق في المصنف برقم (٤٧٤٧) وابن خزيمة في صحيحه (١١٨٤) والنسائي (٣/ ٢١٩) كلهم من حديث أبي هريرة t .

وقال لمعاذ بن جبل – رضي الله عنه - [١]: (والله يا معاذ إني لأحبك، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة، اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك)[٢].

١٩) الحياء: كان r أشد حياء من العذراء في خدرها، وحياء العبودية حياء ممتزج من محبة وخوف، ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبود وأن قدره أعلى وأجل منها، فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة[٣].

٢٠) كما جمع الله له مكارم الأخلاق في قوله: â r Î) 7 9è ?4 äz@ ã àšÕ ÈÍÇ á[٤] فكان أكمل الناس خلقا في جميع محاسن الأخلاق[٥]

وقد جمع الله له مكارم الأخلاق في قوله: â {ÉE$# è ø y q ûØ ó Î$# ãó Å r ã & à Ú Ù Ç ã $ø»g ¤ü ú š ÈÇ á[٦].

(١) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أُدّ بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، الأنصاري الخزرجي ثم الجشمي يكنى أبا عبد الرحمن، آخى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينه وبين عبد الله بن مسعود، شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها، وبعثه رسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قاضيا إلى الجند من اليمن، يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام ويقضي بينهم، وجعل إليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين وجهه إلى اليمن: " بم تقضي "؟ قال: بما في كتاب الله، قال: " فإن لم تجد " قال: بما في سنة رسول الله، قال " فإن لم تجد " قال: أجتهد رأيي، فدعا له الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: " أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل " وقال " يأتي معاذ بن جبل يوم القيامة أمام العلماء، مات بناحية الأردن في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، انظر الاستيعاب ٤٤١/٢.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٤٤،٢٤٧/٥) وعبد بن حميد في المنتخب من مسنده برقم (١٢٠) وأبو داود برقم (١٥٢٢) والنسائي (٥٣/٣) وابن خزيمة في صحيحه برقم (٧٥١) من حديث معاذ رضي الله عنه.

(٣) مدارج السالكين (٢٦٣/٢).

(٤) القلم: ٤.

(٥) صفات النبي r لفضيلة الشيخ – محمد بن صالح العثيمين – ص٣١، خرج أحاديثه د. أحمد معاذ حقي، دار طويق للنشر والتوزيع، ط الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٦) سورة الأعراف: ١٩٩.

٢١) أدبه ربه فأحسن تأديبه، ورباه فأحسن تربيته، فكان خلقه القرآن الكريم يتأدب به، ويؤدب الناس به، فمن أخلاقه r أنه كان أحلم الناس، وأعدلهم وأعفهم وأسخاهم[١].

٢٢) وكان دائم البشر، سهل الخُلُق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخّاب ولا فحّاش، ولا عيّاب ولا مُشاحّ يتغافل عما لا يشتهيه ولا يؤيس منه.

٢٣) كما كان المصطفى r - يخزن لسانه إلا فيما يعنيه، ويؤلفهم، ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم، ويولّيه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد شِبْرَهُ[٢] ولا خُلُقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسّن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهنه[٣].

كان سكوته r على الحلم والحذر والتدبر والتفكر.

فأما تدبره، ففي تسوية النظر، والاستماع بين الناس، وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى .

٢٤) وجُمع له الحلم في الصبر وكان لا يغضبه[٤] شيء، ولا يستفزه وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالخير ليقتدي به، تركه القبيح لينتهي عنه، واجتهاده الرأي فيما يصلح أمته، والقيام بهم والقيام فيما جمع لهم الدنيا والآخرة[٥].

٢٥) ومن صفاته r الرفق أو التأني: قال عليه الصلاة والسلام (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه)[٦].

٢٦) أما في الكرم فقد كان أكرم الناس - صلى الله عليه وسلم - فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة)[٧].

---

(١) محمد رسول الله، لمحمد الحمد، ٢٦، دار ابن خزيمة، ط الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، خلاصة سيرته ومقالات نادرة فيها.

(٢) شِبره: بسكون الباء، مصدر شبَرتُه شبراً إذا أعطيته، لسان العرب (٣٩٢/٤) .

(٣) صفة النبي r ، للمقدسي ١٥١.

(٤) لم يكن من طبعه الغضب، فما كان يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله .

(٥) صفة النبي r ، ١٥٤.

(٦) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري (٨/ ١٤) ، ومسلم كما في شرح مسلم (٢٠٤/٤) برقم (٢٥٩٤) .

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه (١٨٠٦/٤) برقم (٢٣١٢) .

٢٧) وفي الشجاعة كان ﷺ أشجع الناس، وأمضاهم عزما، وإقداماً كان الناس يفرون وهـــو ثابت [١].

وقد أعلى الله ذكره وكرمه على سائر خلقه ومن ذلك:

أ/ الصلاة والسلام من الله تعالى ومن ملائكته على النبي محمد ﷺ [٢].

ب/ موالاة الله ومناصرته لـــه: [٣].

ج/ كفايته له وهدايته وعصمته: [٤].

[٥].

وكذلك عصمة الله لنبيه ﷺ [٦].

د/ عظم منزلة النبي ﷺ وقربه من الله، ومشاهدته العجائب كما في قولـــه: [٧].

---

(١) قال العباس بن عبد المطلب – رضي الله عنه -: لما التقى المسلمون والكفار – يعني في حنين – وولى المـــسلمون مدبرين، طفق رسول الله يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة ألا تسرع وكان يقول حينئـــذ "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب".

(٢) سورة الأحزاب: ٥٦.

(٣) التوبة: ٤٠.

(٤) سور الزمر: ٣٦.

(٥) الفتح: ٢.

(٦) المائدة: ٦٧.

(٧) سورة الإسراء: ١.

وقال: [1].

هـ/ إنزال القرآن الكريم عليه – وهو أبرز معجزة من معجزات محمد r - كما أن الله تكفل بحفظه دون تحريف ولا تبديل [2].

و/ ومن ميزاته r : جمعه بين العلم بالكتاب المنزل وبالحكمة النافعة والعلم المفيد والسنة الشريفة[3] فقال سبحانه: [4]، والله سبحانه أنزل عليه القرآن والعلم النافع، وفهم أسرار الشريعة، والقدرة على تحري الحق والصواب، وعلمه ما كان جاهله من أمور الدين وأحكام الشرع وكان الفضل الإلهي عليه عظيما بالنبوة وبإرساله للناس كافة ولا فضل أعظم من النبوة المقرونة بالرسالة ونزول الوحي[5].

والقرآن الكريم أساس الرسالة النبوية: شريعة خالدة عامة لجميع الناس كما قال سبحانه وتعالى: [6].

ز/ الدعوة الخاصة إلى الله تعالى لقوله سبحانه: [7].

---

(١) سورة النجم: ١٨.

(٢) سورة الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥.

(٣) شمائل المصطفى r ٦٠ – ٦٣ أ. د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، ط الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٤) النساء: ١١٣.

(٥) شمائل المصطفى r : ٦٣.

(٦) سورة سبأ: ٢٨.

(٧) سورة الأحزاب: ٤٦.

ح/ الحكم بين الناس بالحق لقوله: â ÄŸ$Z9$ûü/ Nãæs GÏ ÈtsøÎ =»GÃøÎ7 øÎ) $ZØ#R& $R) â ¡á ª!$71'& $ÿÏ[1].

ط/ تميز رسول الله بخمس خصال تفرد بها عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله r (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض طيبة وطهوراً ومسجداً فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة)[2].

٢٨) التزامه عبودية ربه تبارك وتعالى حتى الموت ، قال سبحانه: â 7‹ïÙ ÁÐm 7/' ßöqà$ â[3] ، فكان e مستمراً في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات، فامتثل e فلم يزل دائباً في العبادة حتى أتاه اليقين من ربه [4].

---

(١) سورة النساء: ١٠٥.

(٢) أخرجه البخاري (١٦٨/١) برقم (٤٢٧) تحقيق مصطفى ديب البغا ط ٣ ١٤٠٧هـ ، دار ابن كثير واليمامة بيروت لبنان ، وأخرجه مسلم (٣٧١/١) برقم (٥٢١) تعليق فؤاد محمد عبد الباقي ، دار التراث العربي بيروت .

(٣) سورة الحجر: ٩٩ .

(٤) تفسير السعدي : (٤٣٥) .

المبحث الثانـــي

عبودية نوح

- عليه الصلاة والسلام -

المبحث الثاني

عبودية نوح – عليه الصلاة والسلام –

١/ بعث الله نوحا رحمة للعباد، فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض كما يقول أهل الموقف يوم القيامة[١].

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله r في حديث الشفاعة الطويل – أنه قال: (... فيأتون نوحا فيقولون: يا نوحٍ: أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك[٢]....) الخ.

وجه الدلالة:

يتبين من هذا النص النبوي أن نوحا أول الرسل إلى الأرض فهو نبي رسول، كما أنه عبدٌ من عباد الله الشاكرين.

٢/ ودليل عبوديته لربه تبارك وتعالى قوله سبحانه: $RÎ) çÈÈ ûüÏ»ètGó¡o„ Ï9qè?4?ãÎ»=™ â:

á çÈÈ ûüÏètGó¡o„ 3“ÌjÏ ¾ÍR) çÈÈ ûüÏètGó¡o„ 3“ÌjÏ ¾ÍR) çÈÈ ûüÏètGó¡o„ 3“ÌjÏ 7Ï<.[٣].

وقال: á çÌÈ #Yqàß© #‰öãš c ‰. ¾ÍR) 9qè ì B $Yè‹Ïm ôB pfhê â:[٤].

٣/ وهو من أولي العزم من الرسل قال سبحانه: š• ZÏr NG)»W<Ï ` ¿ÍÍ)Y9$` Ï $RÒ{ &Ïr â:

á ÇÈ $ZŠÎî $)»W<Ï NG¥Ï $RÒ{ &r Nfó Ï ÈÓ¤Šär á›qàr LìÏ•Îr 9qè Ïr[٥].

---

(١) قصص الأنبياء، للحافظ ابن كثير ضبطه وعلق عليه محمد الفاضلي، ٤٤ ، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٧١٢) (٣/١٢١٥) ، وأخرجه مسلم (٢/٩٧) برقم (٥٠١) .

(٣) سورة الصافات: ٧٩ – ٨١.

(٤) الإسراء: ٣.

(٥) سورة الأحزاب: ٧.

وقال سبحانه: ﴿ ... ﴾[1].

٤/ حمله الله الأمانة — وهي تبليغ رسالة ربه — فقام بها خير قيام صلوات الله وسلامه عليه — قال سبحانه: ﴿ ... ﴾[2].

أ/ اتضح من هذا النص القرآني أن نوحاً عليه الصلاة والسلام أرسله الله بالرسالة الإلهية إلى قومه عندما تحولوا إلى عبادة الأصنام، وأمعنوا في الضلالة والكفر[3].

ب/ كما أنه مبلغ رسالة ربه، وناصح لهم، كما أنه أعلم قومه بالله تبارك وتعالى.

ج/ ﴿ ... ﴾.

وفي هذا تلخيص عام لمهمات الذكر المترل على نوح — عليه السلام — ولوظيفة نوح في قومه.

د/ الإنذار والبشارة في الذكر المترل.

---

(١) سورة الشورى: ١٣.

(٢) سورة الأعراف: ٥٩ — ٦٤.

(٣) مع الأنبياء في القرآن، عفيف طبّاره، ٦٠، ط السابعة عشرة، ١٩٨٩م، دار العلم للملايين، بيروت — لبنان.

٥/ رجاء التأثر بإتقاء العقاب، وطلب الثواب من قبل القوم.

و/ رجاء الظفر برحمة الله في جنات النعيم، وبالعيش السعيد في الحياة الدنيا لمن استجاب لله ورسوله[١].

٥/ كما أن نوحاً – عليه الصلاة والسلام – كان متوكلاً على الله في جميع شؤونه متمسكا بهذه العبادة القلبية، حتى وإن اجتمع قومه للنيل منه أو لإيذائه قال سبحانه:

" Î•Ï õ?r 'ó$)B /ãøæ žã. b¼. bî Éö)»ƒ ¾ïïöq)Ï A$% ôî 9 yqç'6R ïíïõã @2ãr â

ÿÐâ ïãøæ ïäéÐ& ôãƒ ŵ ÔêïäÄ!.žãr ïä•Ð& (þéïd'ù ÅMïz2 q? «!$'?èù «!$ÏM»ƒ$«Î

.[٢]á ÇÈ ïrëãzêŵr ¥«)(þÒ ÔÊÔê

٦/ وهو يعلم علم اليقين أن الناصر له وحده، هو خالقه وموجده؛ وذلك حينما طلب منه قومه طرد المؤمنين قال تعالى: «!$'?ãŵî " ìô_&þî ŵ$Bïøãïä6 èÕ& ŵÖö)»ƒr â

Çï ÈšcqèÿB $Ÿ% ïã1'& ÚÍÅ»9r ïíf (qà»=B NÐÎ (þZB#ä ûïï%$ŠÍ$ÜÎ $B& $Br

.[٣]á ÇÈ brëz2 ‹?Ÿù& ïäŠ•Û bî «!$`Ï 'îÑZƒ `BÖö)»ƒr

كان الناس عنده – صلوات ربي وسلامه عليه – سواسية فهو لا يطلب مالا على دعوته حتى يكون حفيا بالأثرياء غير حفي بالفقراء فأجره على الله وحده، على خلاف ما يرونه هم من أن الرسالة لا تكون إلا في الأشراف والسادة[٤].

٧/ كما اتصف نوح r بعبودية الصدق في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى حيث قال لقومه: ŵr Ò =B 'îÑ ïäqè& ŵr = ó$Ï=æ& ŵr «!$ÉE"z " ‰Ÿï ïä9 ïäqè& ŵr â

---

(١) نوح – عليه السلام – وقومه في القرآن المجيد، لعبد الرحمن الميداني ٥٣ – ٥٤، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٢) سورة يونس: ٧١ – ٧٣.

(٣) سورة هود: ٢٩ – ٣٠.

(٤) انظر حوار الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم، ١١٢ ، لعبده الحميدي، مكتبة الإرشاد صنعاء بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، إشراف أحمد علي الإمام، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

#[Ê) þõ) ¾ûÅ¡ûR& þÎ $JÎ ¾=æ& ª $ #žëz ª $¾ãÎs¡ã `9 ¾ãžãã& ü í Š¬? šú ï¼9) Aqè&

.[1]á ÇÏÈ ûüÜÎ»è9$ `Ü©

٨/ كان نوح r لين الخلق صبوراً، أميناً، صالحاً[2] كما كان يعطف على قومه ويستخدم معهم أسلوباً حانياً في إشفاق الأخ الناصح الأمين وصدق الرائد لأهله[3].

þõ) ¢$ûv) ¡ï¼ç? ûv b& ÇÏÈ êú üÎB ÉÉR ¾ã9 'õ) ¡ïBõ¼ 4<) ¼nqç$Z¤Ù™Ö& ß)9r â

.[4]á ÇÏÈ Ö¼ïõ& Ðõ/ >#< ã ¾ãøæ ß¼{&

٩/ وكان يصبر على أذى قومه له، وعنادهم وطغيانهم وظلمهم 4<r\¼#Š¼æ 7 =d& ¡ïçR&r â

.[5]á ÇÎÈ 4öÔ&r N=ø& ¾è ¡qç. ¾ã) ø6¼ `B ¡qçPõ¼r ÇÎÈ 4+ø& $Jù ¡Šq30r ÇÎÈ

وذلك حينما وصفوه بالجنون في قوله: â 3ù ¡qçÚ« ¡qß¼r $R¼õã ¡qçÚ« ¡qß¼r

.[6]á •Å Bø¡r ¤qçÇ ¡qß¼r

وحينما استمرءوا في العناد واتهموه بالـــضلال â A$¼ J¡ß¼ _ B `¼ïBõ¼ ¡ï 7 1Ž\9 $R) 'Î

.[7]á šú üï»è¡ß¼ § `B Aqr' Ó¡Å»9r ×»=Ê 'Î § ¡ß¼ Éõ) »ƒ A$¼ ÇÏÈ ßüÎB ø»=Ê

واتهامهم له دون تقديم أية حجة إنما كان مستنداً إلى رؤية فكرية قلبيـــة، أنـــك في ضلال عن الحق وضياع، لقد دفع نوح _عليه السلام_ الاتهام بالنفي فقط، و لم يردّ على الشتيمة بمثلها، فلم يكن من عادة الرسل مقابلة الإساءة بمثلها [8].

---

(١) سورة هود: ٣١.

(٢) أنبياء الله الكرام قصص وعبر من حياتهم، د. حنان قرقوتي، دار المعرفة، بيروت – لبنان ٤٢، ط الأول ١٤٢٦هـــ - ٢٠٠٥م.

(٣) حوار الأنبياء: ١٠٨.

(٤) سورة هود: ٢٥ – ٢٦.

(٥) سورة النجم: ٥٠ – ٥٢.

(٦) سورة القمر: ٩.

(٧) الأعراف: ٦٠ – ٦١.

(٨) انظر نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد، ٤٦.

والأنبياء لكي يؤدوا رسالتهم على وجهها الكامل رزقهم الله صبراً على الإيذاء وجلداً على الخصام، كما وسع في رقعة أحلامهم، وأمدّ لهم في حبال رجائهم لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولا لمن كفر عذر بعد الأنبياء[١].

١٠/ وبالرغم مما كان يلاقيه من صنوف الأذى والسخرية، إلا أنه لم يفتر عن الدعوة إلى الله والتذكير بآيات الله لقوله: [٢] كما أنه استمر في دعوته محققا عبودية الله في حمل هذه الوظيفة العظيمة فلم يكن يوما ما يدعو قومه لغرض الدنيا، أو المال بل كان يطلب الأجر والثواب من ربه وخالقه: [٣].

١١/ ومن عبوديته لربه أنه كان كثير الاستغفار والدعاء والابتهال إلى الله تبارك وتعالى: [٤] وقال: [٥].

١٢/ فلما استجاب الله دعاءه حمده على أن نجاه من القوم الظالمين [٦] بكل ما تعنيه كلمة الابتلاء؛ ابتلاء للصبر، وابتلاء للشكر وابتلاء للأجر، وابتلاء للتوجيه، وابتلاء للتأديب، وابتلاء للتمحيص، وابتلاء للتقويم[٧].

---

(١) قصص القرآن، لمحمد جاد المولى، ٢١.

(٢) سورة يونس: ٧١.

(٣) هود: ٢٩.

(٤) سورة الأنبياء: ٧٦ – ٧٧.

(٥) سورة نوح: ١٠.

(٦) سورة المؤمنون: ٢٨ – ٣٠.

(٧) انظر حوار الأنبياء مع أقوامهم في القرآن ١١٨.

وامتن الله عليه بمنن من أبرزها:

١٣/ أنه جعل في ذريته النبوة والكتاب ، قال سبحانه وتعالى: o§ÇZY9$$JÎûÏf6 'Î$Yè_r â á =»GÅ6 ø[1].

١/ أعلى الله ذكره في كتابه فقد ذكر اسمه عليه السلام ثلاثا وأربعين مره[2].

٢/ السلام والتحية من الله يدعو بها المرسلون وأتباعهم فمن سلّم عليه أو على أي رسول أو نبي كتب له بذلك أجر؛ لأنه تعليم مشروع أشعر الله بالندب إليه بعبارة (وتركنا) دون عبارةٍ فيها معنى الأمر والإلزام[3].

لقوله تعـــالى: 7ÿ°< . $RÎ) ÇÐÈ ûüÏ>»è8'Î8yqÇ4?ã O»=™ ÇÐÈ ûïÌÅ$'Îmøã $Yø•?r â á ÇÈ ûïÌz$$Yø8 8ÇÈ ûüÏBs3$$RŠ7ã ôÐ ¼çR) ÇÈ ûüÏÅ3s3$$ “ Ìø[4].

ومن هذا نفهم أن المرتبة الدنيا شرط في الارتقاء إلى المرتبة العليا، فلا يكون الإنسان من الأبرار حتى يستكمل حقوق مرتبة المتقين، ولا يكون من المحسنين حتى يستوفي حقـــوق مرتبة الأبرار، ولا يدخل في دائرة مرتبة المتقين ما لم يكن من المؤمنين[5].

---

(١) سورة الحديد: ٢٦.

(٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، لمحمد فؤاد عبد الباقي ٧٢ – ٧٢٣، دار الريـــان للتـــراث – دار الحـــديث ١٤٠٧هـــ - ١٩٨٧م.

(٣) نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد ١٤٦.

(٤) سورة الصافات: ٧٨ – ٨٢.

(٥) نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد، ١٤٧.

المبحث الثالث

عبودية إبراهيم –عليه السلام-

المبحث الثالث

عبودية إبراهيم – عليه الصلاة والسلام –

إبراهيم – عليه الصلاة والسلام –. خليل الرحمن، صاحب المنزلة العظيمة أبو الأنبياء، أحد أولي العزم من الرسل، أكرمه الله في كتابه فقد ذكر اسمه – عليه الصلاة والسلام – تسعاً وستين مرة في خمس وعشرين سورة[١].

١/ جمع الله بينه وبين محمد r في الشبه فقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله r قال: (وهو يتحدث عن ليلة أسري به: ..."وأنا أشبه ولد إبراهيم به) [٢].

٢/ وكما جمع الله بينهما في الشبه فقد جمع بينهما في صفة الخلة[٣].

فلم يتخذ الله خليلاً غير محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام. قال الله تعالى: á WŠîz OŠÜ°•ðˆ ª¡ $‹ƒB$r â[٤].

وثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله r أنه قال: (أيها الناس، إن الله اتخذني خليلا)[٥].

وقال في آخر خطبة خطبها: (أيها الناس، لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله) [٦].

ولما كان إبراهيم _عليه السلام_ أفضل الرسل، وأولي العزم بعد محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أمر المصلي في صلاته أن يجمع بينهما في التشهد.

---

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ١ – ٢.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٦/٤) برقم (٣٣٩٤و٢٠٢/٣٤٤٧) ومسلم (١٠٦/١) .

(٣) الخلة هي: هي كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية لله العبودية، ص١٢٢.

(٤) سورة النساء: ١٢٥.

(٥) أخرجه مسلم (٦٧/٢) برقم (١١٢٥) .

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٤٧٨/٣ و ٢١١/٤) وأخرجه الترمذي برقم (٣٦٥٩) وقال حسن غريب .

فقد ثبت في الصحيحين من حديث كعب بن عُجْرة[١] وغيره، قال قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك قال: (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)[٢].

٣/ ولشرفه ومكانته نزلت سورة كاملة باسمه "سورة إبراهيم".

ومن جميل خلقه ، وحسن أدبه مع ربه تبارك وتعالى ، ثناء عليه في ثنايا حواره مع أبيه الكافر: â ÇÍÐÈ $ŁÏÝm 'Îšc ‰. ¼çRÎ) þÎr 79 ëÝÝóGÕ'™ 7øãN»-™ A$‰ â[٣].

٤/ أعطاه الله النبوة، والكتاب، وجعلها في ذريته.قال تعالى: â Lìï‰Ïd°•ßÎ)r ‰[ÞqÈ$ZÏ™Ö‰ßß)9r â

á =»GÅ6 ßß ÖÇÇ9$$JÎÎ/ÍÍÈ 'Î$Ÿèè_r[٤].

"فكل كتاب أنزل من السماء على نبي من الأنبياء بعد إبراهيم الخليل فمن ذريته وشيعته، وهذه خلعة سَنِيَّةٌ لا تضاهى، ومرتبة علِيَّة لا تُبَاهى؛ وذلك أنه ولد له لصلبه ولدان ذكران عظيمان: إسماعيل من هاجر، ثم إسحاق من سارة وولد له يعقوب – وهو إسرائيل الذي ينتسب إليه سائر أسباطهم، فكانت فيهم النبوة، وكثروا جدا بحيث لا يعلم عددهم إلا الذي بعثهم، واختصهم بالرسالة والنبوة، وحتى ختموا بعيسى بن مريم

---

(١) هو كعب بن عجرة بن أمية بن عدي بن عبيد بن الحارث البلوي ثم السوادي ، من بني سواد بن مري من بلي ابن عمرو بن الحارث بن قضاعة حليف الأنصار ، قيل : حليف لبني حارثة بن الحارث بن الخزرج ، وقيل : بل هو حليف لبني عوف بن الخزرج ، وقيل : إنه حليف لبني سالم من الأنصار ، وقال الواقدي : ليس بحليف للأنصار ولكنه من أنفسهم . وقال بن سعيد : طلبت اسمه في نسب الأنصار فلم أجده ، ويكنى أبا محمد ، فيه نزلت: "فدية من صيام أو صدقة أو نسك " البقرة ١٩٦، نزل الكوفة، ومات بالمدينة سنة ثلاث أو إحدى وخمسين وقيل: سنة اثنتين وخمسين . وهو ابن خمس وسبعين سنة. روى عنه أهل المدينة وأهل الكوفة . ترجمته في الاستيعاب (٣/٤١٠) .

(٢) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (١٧٨) برقم (٩٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٢/٣٤٦) و (٤/ ٣٥٦) من حديث كعب بن عجرة ، وأخرجه البخاري برقم(١٩٩٧) و(٥/١٣٣٩) من حديث أبي سعيد الخدري t .

(٣) سورة مريم: ٤٧.

(٤) سورة الحديد: ٢٦.

من بني إسرائيل، وأما إسماعيل عليه السلام فكانت منه العرب على اختلاف قبائلها ، و لم يوجد من سلالته من الأنبياء سوى خاتمهم على الإطلاق ، وسيدهم وفخر بـــني آدم في الدنيا والآخرة ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي المكـــي، ثم المـــدني صلوات الله وسلامه عليه[١].

٥/ أولى الناس بإبراهيم عليه - الصلاة والسلام - هم الذين آمنوا به وصدقوه ، ثم محمـــد r وأمته، كما نفى الله عن إبراهيم – عليه السلام - أن يكون يهودياً أو نصرانياً بـــل كان على ملة الإسلام.

ûüÏÎêÔ3Ø8$`Ï b%. $Br $VÎ4ôÞ $ZÏm šc %. `Å»9r $|ÏÏ#ŽÇ$ Ÿwr $ÿÏ8qÅ ÑŠÏ°•Ô b%. $B â

•Ír ª! $ ÏqÆB#ä šú ï‰Ô$ ÓÉZ9$#‹»dr çqÃ7?$ûï‰Ô© NŠÏ°•Ô7 Ä $Y9$'‹Ï& žc Ï ÇÏÈ

á ÇÏÌÈ ûüÏÏÈsÜ3Ø8$[٢].

فالله سبحانه أنكر على أهل الكتاب – اليهود والنصارى – سذاجتهم وسخف عقولهم في محاجتهم إبراهيم الخليل، ودعوى كل طائفة أنه منهم وقد كان زمنه قبل أن يترل الله التوراة على موسى، وكيف تدعي النصارى أنه كان نصرانيا وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر[٣] ولهذا قال: â :ùÏ& Ÿx ?Ï ÇÚ qèÈe[٤].

٦/ والحنيفية هي ملة إبراهيم حنيفا، فهو على دين الإسلام ، الدين الحق فمعنى هـــذا أنـــه حقق عبودية ربه سبحانه في استسلامه وانقياده للمولى.

á $ZÏm Lìt°•Ô 'Ï ÏqÃ7?$ ª! $-‰ ¹ Ï@è â[٥].

á $ZÏm OŠÏ°•Ô 'Ï ì7?$ â[٦].

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير، ١١٨ – ١١٩.

(٢) سورة آل عمران: ٦٧ – ٦٨.

(٣) انظر تفسير ابن كثير (١/٤٨٦) .

(٤) سورة آل عمران: ٦٥.

(٥) سورة آل عمران: ٩٥.

(٦) سورة النساء: ١٢٥.

٧/ وبين سبحانه أن من لم يتخذ دين إبراهيم – عليه السلام - ورغب في غيره فهو سفيه: .[١]á ¼ç¡ÿØR mÿ™ `B ŵvÎ O¿Ù°•ð Ï¢B `ã Ü÷ îéf `Br â

٨/ كما أعلى الله ذكره حينما اختاره واصطفاه للنبُوَّة: ¼ðÑÎr $‹℞‰9$'Î ç»Zøÿ Üð $Ÿ‰)9r â ÇìÌÈ ûüÙ=»è¢ÉÉ•ÿ ÑÎð-Ø'& A$% ÑÎð-Ø'& ÿçš' ¼Ñ A$% ¢ð) ÇìÌÈ ûüÅÎ»¢Á9$`Ù9 í•ÅÑ÷$'Î .[٢]á

٩/ وجعل كلمة التوحيد شهادة الحق وصيته لأبنائه ، وجعلها كلمة باقية في عقبه وتوارثت فيهم حتى وصلت ليعقوب – عليه السلام - فوصى بها بنيه فأنتم – يا بني يعقوب – قد وصاكم أبوكم بالخصوص ، فيجب عليكم كمال الانقياد واتباع خاتم الأنبيـــاء[٣] قال تعـــالى: Ÿxù ûïÌ!$ÑÑa9 4"Ùð $©$Ñb)Ó Ó_6»ƒ Ù qàèfr ï‹Ï/ Ð¿Ù°•ð $Ñí ¢œerr â $B ï‹Ï7ï A$% ¢ð) ÑÑqJ¢$> qàèf ŽØm ¢ð) ä‼‰kà ÑÇŸä℞& ÇìÌÈ bqÐÎóB OÉR&r ŵvÎ £êqÐ? $Ÿ9Ñ ,»s Ñ)r @Šè»JÑ)r O¿Ù°•ð 7í$/#ä m9Ñ)r 7g»9Ñ)‰çèR ¢q¢% " ï‰è/ .Ï brÐçè? .[٤]á ÇìÌÈ bqÐÎóB ¼ÐÐr #‰Ïh°r

١٠/ ومن كرامة الله لأمة محمد r أن إبراهيم سماهم المسلمين في الكتب السابقة وكذلك في هذا الكتاب وهذا الـــشرع: 'Îr @6% `Ï ûüÙÎóÐ¢$Ñ9‼™ qèd OŠÙ°•ð ÑÐ'‹Î& '¢Ï â .[٥]á Ä $Z9$'?ã ä‼‰kà ¢qÇqÐ?r ÐÐæ #‰‹ÎÐ© ÐqÑ9bqÐ‹Ï ‹»d

١١/ ومن فضائله أنه أَوَّل من يكسى يوم القيامة:

دليله ما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال: (قـــام فينا رسول الله r خطيباً بموعظة، فقال: "يا أيها الناس: إنكم تحشرون إلى الله حفـــاة

---

(١) سورة البقرة: ١٢٩.

(٢) سورة البقرة: ١٣٠ – ١٣١.

(٣) تفسير السعدي ٦٧.

(٤) سورة البقرة: ١٣٢ – ١٣٣.

(٥) سورة الحج: ٧٨.

عراة غُرلا" â .$J /‰R$ ‰Rz Aï& çùb9Îè‹%ç¼ #‰ãr $Y̌ã $R̂ $Zä üîé»ù á šú[١] ألا وإن أول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام[٢].

١٢/ وقد رفع الله قدره ، وأعلى ذكره في العالمين ، بسبب ما قام به من تحقيقه للعبودية ومحبته لربه، وإنابته إليه، وقيامه بحقوق إلهه وحقوق العباد ودعوة الخلق إلى الله قال سبحانه: â $6Ïä Î' $Ï$G6Å»É Ï9ô Lìd̈ ¼çR$ .b% ¹ïÏZ/ R$Î$ ÈÏÇ á[٣] جمع الله له بين الصديقية والنُبَوَّة، فهو الصادق في أقواله وأفعاله وأحواله، المصدق بكل ما أمر بالتصديق به؛ وذلك يستلزم العلم العظيم الواصل إلى القلب المؤثر فيه الموجب لليقين والعمل الصالح الكامل[٤].

١٣/ وهو صاحب القلب السليم حيث قال سبحانه: â * rÎ) c Ž B` ©ë‹Ïè‹Ï±¾ 4Z9 •ºdÏ Nš ÈÌÑÇ

6Ï) `! ä' ¼ç/ u5 š(Î) Ç)Î6 ™ìÏŠ@Ù ÈÏÑÇ á[٥].

الهاء تعود على نوح – عليه الصلاة والسلام – ووصفه بهذا الوصف أنه من شيعة نوح – عليه السلام - ليفيد بهذا الأسلوب الواحد تأكيد الثناء على نوح – عليه السلام – ، وابتداء الثناء على إبراهيم – عليه السلام – ، وتخليد منقبة لنوح فإن إبراهيم الرسول العظيم من شيعته وناهيك به[٦].

وسئل محمد بن سرين* – رحمه الله - عن القلب السليم ؟ قال : يعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وقال الحسن:- رحمه الله - سليم من الشرك[٧].

(١) سورة الأنبياء: ١٠٤.
(٢) أخرجه البخاري (٢٣٩١/٥) برقم (٦١٦١) ، ومسلم (٢١٩٤/٤) برقم (٢٨٦٠) .
(٣) سورة مريم: ٤١.
(٤) تفسير السعدي ٤٩٤.
(٥) سورة الصافات: ٨٣.
(٦) التحرير والتنوير (١٣٥/٩) .
(*) محمد بن سيرين الأنصاري أبو بكر بن أبي عمره البصري ثقة ثبت عابد كبير القدر مات سنة ١١٠هـ تقريب التهذيب ٤٨٣هـ.
(٧) تفسير ابن كثير (١٨/٤) .

وقد جمع قوله: "بقلب سليم" جوامع كمال النفس ، وهي مصدر محامد الأعمال وذلك جماع مكارم الأخلاق[١].

ولذلك وصف إبراهيم – عليه السلام - بقوله سبحانه وتعالى : â)îbðïÙ•°ïÙ9 LìîÛî‡ïî¾r¾

.[٢]á ÇÈîÐè Ø¾ÿÝB

١٤/ فقد اتصف بصفة الحلم – لا سيما – مع دعوته لأقرب الناس إليه والده ذلكم الأب الكافر.

ونلاحظ في أسلوب إبراهيم – عليه السلام - ومنطقه وحواره الهدوء والحكمة والحلم، ونتعرف منه على حرصه وإشفاقه واهتمامه بأبيه[٣].

قال ابن جرير: – رحمه الله – يقول تعالى ذكره: إن إبراهيم لبطيء الغضب متذلل لربه، خاشع له، منقاد لأمره "منيب" رجَّاع إلى طاعته[٤].

١٥/ وقد أثنى الله على نبيه إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – حينما ابتلاه الله بالأوامر والنواهي، وجعله إماماً يقتدى به من جاء بعده قال الله: â * r)îEÎ#?FÖ¾Ê‘ O¿ïÙ•°ïÙ)¼qš

“ ï‰ôã Ä$Zƒ ÿw A$% ÓÉÍÈ `Ïr A$% $Ï¾$Bî Ä $Y-ï 7 äè% ` ’ïî A$% £ßÏ?'ù ÌM»Kî3î

.[٥]á ÇÍÈ ûüÏÎ»ïÙ9$

وهذه أفضل درجة تنافس فيها المتنافسون، وأعلى مقام شمر إليه العاملون وأكمل حالة حصّلها أولو العزم من المرسلين وأتباعهم من كل صديق متبع لهم داع إلى الله وإلى سبيله فلما اغتبط إبراهيم – عليه السلام - بهذا المقام وأدرك هذا، طلب ذلك لذريته لتعلو درجته ودرجة ذريته، وهذا أيضاً من إمامته ونصحه لعباد الله ومحبته أن يكثر فيهم

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (١٣٧/٩) .

(٢) سورة هود: ٧٥.

(٣) القصص القرآني، صلاح الخالدي (٣٢١/١) .

(٤) تفسير ابن جرير (٧٩/٧) .

(٥) سورة البقرة: ١٢٤.

المرشدون، فلله عظمة هذه الهمم العالية والمقامات السامية[١].

[٢].

١٦/ كما جعل الله نموذجا باقياً دالاً على إمامة إبراهيم —عليه السلام - وهو هنا البيت الحرام الذي جعل قصده ركنا من أركان الإسلام حاطاً للذنوب والآثام وفيه من آثار الخليل وذريته ما عرف به إمامته[٣].

[٤].

وتشير الآيات هنا إلى خضوع وتذلل إبراهيم وإسماعيل — عليه السلام — لله ودعائهما له بأن يجعل هذا البلد آمنا، وأن يرزق أهله من أنواع الثمرات للمؤمنين من عباده، كما كانا يلتجئآن إلى الله عند بناء البيت بأن يتقبل الله هذا العمل منهما وأن يجعلهما باقيين على الإسلام وذريتهما.

---

(١) تفسير ابن السعدي، ٦٥.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٩.

(٣) تفسير السعدي: ٦٥.

(٤) سورة البقرة: ١٢٥ — ١٢٩.

١٧/ وقد جعل الله تعالى من مكافأة إبراهيم - عليه السلام - على بنائه الكعبة المشرفة بأن جعله يسند ظهره إلى البيت المعمور في السماء السابعة[١] ، كما جاء في صحيح البخاري في حديث رسول الله r عن الإسراء حيث قال: "فأتينا السماء السابعة قيل: من هذا ؟ قيل: جبريل، قيل: ومن معك ؟ قيل: محمد، قيل وقد أرسل إليه ؟ مرحباً به ونعم المجيء جاء ، فأتيت على إبراهيم –عليه السلام - فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من ابن ونبي "وفي لفظ "مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ، وإذا هو – أي إبراهيم – مسند ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه[٢].

١٨/ وقد طلب من ربه أن يريه كيف يحي الموتى، وتقرر أن الباعث له على هذا الطلب هو زيادة طمأنينة القلب ، وليس إزالة الشك والريب[٣] ، فهو أحب أن يرتقي من علم اليقين إلى عين اليقين[٤].

`Å»9r 4?/ A$% `Ïs÷ê‰N9r& A$% 4AöJø#ÇóŠê # øŸ2 ‘ Ïí‹ Éž ‘ Ð¿Ù°•ß A$% ßÎr â

£ÐÐB @6_ Ïè‹ä 4?ã @èô_ $Œê 7 øÎ £ÐÐŽÇ ù ÎÐÖ9$`Ï Ïæ/Ö‹ õã¸ ù A$% ÓÉ‰ £ÍJÖŠÎ

. á ÇÏÈ Ï›Åm ÎƒÍ•ã @$Šb& Ñ=æ$ $Šè™ 7 Ÿ•ÏÙƒ £ßãš$Œê#ß“ã_

١٩/ ولعظمة ومكانة إبراهيم – عليه السلام - عند ربه أن أرسل له رسلاً من الملائكة على هيئة البشر، و لم يعرفهم فاعتقد أنهم ضيوفٌ وقدم لهم الطعام فلم يأكلوا منه فشعر إبراهيم – عليه السلام - بالخوف والوجل 2" Žõ ßÎ LìÙ°•ß $ZÐ$âÑäÌ` ß)9r â

ïøÎ ãÃ? Ÿw ÑÅŸ‰ƒ‹ä‘ $Ï›ù ÇÏÈ 7 ŠŸm @ßÎ ëÎ äÌ` b&] Î9 $Jù ÑÖ=™ A$% $Ÿ»=™ {qß%

¼çÊ•ÐÞ ÇÏÈ Ï qäÏçö‰ 4<Î $ZÅÜÉ$Ñ Î# , ? Ÿw {qß% Ïy‹Å ÑÌÞ § _ ƒ&r ÑÌè•Å6 R

ßÎ&ä Ø=ƒq»ƒ Ñ9$% ÇÏÈ > qàèƒ ,»sÜÎ ä‘r `Ïr ,»sÜÎî $g»Rö‹6ù Ñ3Å Ÿù ¤JÍ‹%

---

(١) قصص الأنبياء القصص الحق، عبد القادر شيبة الحمد، ١٢٥.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٨٨٧) كما في عمدة القارئ شرح صحيح البخاري .

(٣) القصص القرآني، صلاح الخالدي (١/٤٤٥) .

(٤) انظر تفسير ابن كثير (١/٤١١) .

«ﻫ $ÌÞB‰ ôË ûüÎ f è?& (pB$‰ ÇËÈ Ò‹ÉÊ ã âÓ´ 9 #‹»d ž c Ï $¸ ø© ’íè/ #‹»dr ×qã ã ŠB‰r

.[1]á ÇÐÌÈ Ó‹ø Ó‹ïq ¼çR Ï Ïø7$Ø ïã ø¼çF .•/r «ﻫ $ÐM#eq‘

تدل هذه الآيات على كرم إبراهيم - عليه السلام - حيث بادر بتقديم العجل السمين لهم، كما تدل على رده للتحية حيث "قالوا سلاماً قال سلامٌ" ومجيئها مرفوعة (سلامٌ) ليدل على تمكن ورسوخ وتحقيق وثبات أكثر للسلام من طرفه هو[2]، كما تدل على بشارة الملائكة لهم بإهلاك قوم لوط الضالين وبشارتهم أيضاً له بحصول الذرية الطيبة الصالحة وهو ابنه إسحاق - عليه السلام - ، مما جعل زوجه – سارة – تتعجب من هذا الأمر الغريب.

/٢٠ ومن عبودية إبراهيم – عليه السلام - لربه تبارك وتعالى دوام شكره لربه وكثرة دعائه وتضرعه وقنوته واستسلامه واستجابته لأوامر الواحد الأحد[3].

ومثال دعائه ربه: þY_ þ0‘r `Ë Ó‹ÍèÔ ¨$ ÇÑÍÈ ûïÌÅÆF$’Î 5ßï¹ b$¡ï ’ík@èÔ ¨$ â

Ww Pøf ÇÑÐÈ bqèÐÆPøf ’ÎÍæ Ww r ÇÑÌÈ û,ÎkÐ9$`Ë b‰. ¼çR Þ Þ Îï{ ëÿô¨$ ÇÑÎÈ ÉŠÊZ9$

.[4]á ÇÑÐÈ ÕŠî™ 5=ùÏ ©$’A& ôB Ww Ï ÇÑÌÈ bqÃ/ Ww r A$B ßÿZƒ

ومما يدل على سرعة استجابته لأوامر الله حين أمره سبحانه بأن يذهب بزوجه هاجر وابنه إسماعيل بوادي غير زرع ، ويتركهما لوحدهما ، وكذلك استجابته لله في الموقف العظيم حينما رأى أنه يذبح ابنه واستسلامه لهذا الموقف بل ومبادرته لهذا الفعل لولا أن الله فداه بذبح عظيم ، وسيأتي هذا في الحديث عن عبودية إسماعيل عليه السلام.

ïüÃR‹X #•Å2 $© ÇËÈ ûüÌÎô ¨$ `Ë Ã ƒ Ò9r $ŽŠÏm ³! $ÑR‰ ÆBéšc ‰. OŠÙ°•Ò Î b Î â

`Ü9 ó•ÅF$’Î ¼çR Îr ÆZ ¡ m $<R‰9$’Î ç»Y•?#är ÇËÈ ¨$ÉGóÞ Þ°ŽÂ 4‹Î ç1‰dr ç9;GÔ¨$

.[5]á ÇËÈ ûüÅî»Á9$

---

(١) سورة هود: ٦٩- ٧٣.

(٢) القصص القرآني (٤١٩/١) .

(٣) ومن ذلك رؤيا الذبيح واستجابته لأمر الله وستأتي في ثنايا الحديث عن عبودية إسماعيل.

(٤) سورة الشعراء: ٨٤ – ٨٩.

(٥) سورة النحل: ١٢٠ – ١٢٢.

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: "اختتن إبراهيم النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم[1].

/٢١ ومن عبودية إبراهيم لربه تحقيق عقيدة الولاء والبراء".

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

/٢٢ وقد وصف الله تعالى إبراهيم - عليه السلام - بأنه وفّى أي أتم كل ما أمره الله به فقال سبحانه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[3].

/٢٣ ومدحه في نقض ألوهية وربوبية الكواكب ، وإثبات الألوهية والربوبية والعبودية لله رب العالمين.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٣/١٢٢٥) رقم (٣١٨٧) ومسلم (٤/١٨٤٠) برقم (٢٣٧٠) .

القدوم : ثنية بالسواة ، وقيل : قدوم قرية بالشام ، وقيل : القدوم بالتخفيف والتشديد قدوم النجار ، لسان العرب (١٢/٤٧٢) .

(٢) سورة الممتحنة: ٤ — ٧.

(٣) سورة النجم: ٣٧.

(٤) الأنعام: ٨٣.

٢٤/ وكان المصطفى محمد r يأتسي به في تعويذ الحسن والحسين ، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: كان رسول الله r يعوذ الحسن والحسين ويقول "إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامه"[١].

(١) أخرجه البخاري (٤ / ١٧٨) برقم (٣٣٧١) .

المبحث الثالث

عبودية لوط - عليه السلام -

المبحث الثالث

عبودية لوط – عليه السلام –

لوط نبي من أنبياء الله ورسول من رسله، وقد حكى القرآن إيمانه بنبي الله إبـــراهيم – عليه الصلاة والسلام – لما كان إبراهيم – عليه السلام - يدعو إلى الله في بلاد العـــراق ولما هاجر إبراهيم – عليه السلام – من العراق إلى فلسطين كان لوط – عليه السلام - معه وهذا ما ذكره القرآن الكريم قال الله تعالى: â * B$«ù ` Oqã¼qg9 Ôqãr A$%r ’þ A$gB 4‹Î) þÎn
Î) qd Ÿ“ƒÍyèø9$# ÞOŠÅ3ptø:$# á ÇËÏÈ[١].

وقال عن نبيه وخليله إبراهيم – عليه الـــسلام - â çm»uZøŠ¯gUr $»Ûqä9ur ’n<Î) ÇÚö‘F{$# ÓÉL©9$# $uZø.t»t/ $pkŽÏù šúüÏJn=»yèù=Ï9 á ÇÐÊÈ[٢]. وقال تعالى: â $»Ûqä9ur çm»oYø‹s?#uä $VJõ3ãm $VJù=Ïãur çm»uZøŠ¯gUr z`ÏB ÏptƒötÉø9$# ÓÉL©9$# MtR%x. ã@yJ÷è¨? y]Í´¯»t6y‚ø9$# 3 öNåk¨XÎ) (#qçR%x. tPöqs% &äöqy™ šúüÉ)Å¡»sù á ÇÐÍÈ šúüÅsÎ=»¢Á9$# z`ÏB ¼çm¯RÎ) á ÇÐÎÈ[٣]. ولما وصل إبراهيم ولوط - عليهما السلام - إلى فلسطين أرسل الله لوطاً نبياً رسولا إلى قوم يسكنون في الجنوب الشرقي منها في عدة قرى مجتمعه[٤].

وقد تحدث القرآن في مواضع كثيرة عن قصة لوط – عليه السلام – ودعوة قومه إلى الطريق الصحيح ، وبالنظر في هذه الآيات نجد أسلوباً من نوع خاص لأناس وأقوام لم ينشأ لوط - عليه السلام - بينهم من ذي قبل. قـــال تعـــالى: â $»Ûqä9ur øŒÎ) tA$s% ÿ¾ÏmÏBöqs)Ï9 tbqè?ù's?r& spt±Ås»xÿø9$# $tB Nä3s)t7y™ $pkÍ5 ô`ÏB >‰tnr& z`ÏiB šúüÏJn=»yèø9$# á ÇÑÉÈ öNä3¯RÎ) tbqè?ù'tGs9 tA%y`Ìh9$# Zouqôgx© `ÏiB Èbrߊ Ïä!$|¡ÏiY9$# 4 ö@t/ óOçFRr& ×Pöqs% šcqèùÌó¡B á ÇÑÊÈ[٥].

(١) سورة العنكبوت: ٢٦.

(٢) سورة الأنبياء: ٧١.

(٣) سورة الأنبياء: ٧٤ – ٧٥.

(٤) قصص القرآن للخالدي (١/٤٧٨) .

(٥) سورة الأعراف: ٨٠ – ٨١.

وقال سبحانه أيضاً: [1].

حقا لقد تجلت عبودية الصبر في نفسية لوط — عليه السلام — على قومه وشناعة ما هم عليه، حيث بذل ما في وسعه لنصحهم وتوجيههم للطريق السليم والفطرة الصحيحة حيث استخدم معهم أسلوب الإثارة لكوامن الغرائز والخصائص النفسية ، والنخوات والأعراف القبلية، حيث لمس في قومه الناحية الفطرية ، ثم الناحية الرقابية لله الخالق ، ثم النخوة القبلية، وتقاليد البدو في إكرام الضيف ، وعدم الخزي للمضيف ، فقد ذكرهم بهذه النواحي في قوله تعالى: [2].

(١) سورة الشعراء: ١٦٠ — ١٧٥.

(٢) سورة العنكبوت ٢٨ — ٣٠.

ü' Í#ä ÷& ç$ê¾ÑaÎ ' í b& ö9 A$% ÇÐÈ ‰ƒÞÇ$B Ð=è69 7 ÑÎr ¢m ôB 7 Î$Z/ ' Î $Z9 $B M#Íã ‰) 9

.(١) á ÇÐÈ ‰ƒ‰© 9 øâ4‹Î

فقد ذكرهم بقوله (يا قوم) وهذا فيه تذكير لهم بالناحية القومية، وأيقظ فيهم مشاعر الرقابة لله بقوله: (فاتقوا الله) ، وذكرهم بنخوة القبائل البدوية ، وهي احترام الضيف وإكرامه ، وعدم مسه بأذى ، بل بحمايته مما يؤذيه ومن يؤذيه ، كما هيج فيهم مشاعر الرشد ، وحسن التصرف وعدم السفه والطيش(٢) ، بقوله: (ولا تخزوني في ضيفي أليس منكم رجل رشيد).

وفي قوله تعالى: #‹»d A$%r ‰æŒE ÑÍÍ -$Êr ÑÍÍ äÓÅ $ÛÚqä$Zè9âÑä!` $£9r â

á ÇÐÈ è$ŠÃã Pø/ (٣) لقد أخبرت هذه الآية عن حالة لوط – عليه السلام – النفسية والقلق الذي اعتراه بمجيء هؤلاء الأضياف عنده؛ وذلك لأنهم شباب جرد مرد في غاية الكمال والجمال ولهذا خاف من قومه أن يبادروا العمل الفاحش بأضيافه، وكان الدافع لهذا الاغتمام بمجيئهم؛ لأنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله(٤)؛ ولهذا وصف هذا اليوم بأنه (يوم عصيب) أي هذا اليوم يوم شديد شره عظيم بلاؤه(٥).

£è ' Î$Z/ ätwè¯d Ëöø)»ƒ A$% ÏN$«ñ¡ 9$bqèJèƒ ¢qç. ÐÞ% `Ïr ïø Î) bqã•ö¿¼ÇÐø% ¼çä!` r â

.(٦) á ÇÐÈ Ó‹©§ø ã‘ ÒäZÏ § ø& þÿøÊ ' Î ërãø ÿr ©$ø(à?$ ä9 ãgÒ&

حيث أمرهم بالفطرة السوية والبعد عن الفجور ، فحثهم على إتيان النساء عن طريق الزواج ولهذا قال في موضع آخر â ,={ $B brâ‹?r ÇïÎÈ ûüÏ=»è ø$`Ï b#•ø%!$bqÊÞ?%

.(٧) á ÇïÎÈ šc rß‰æ Pø% ÑÇ&Þ/ NäÅ°r& ôÏ Näš‘ Þä9

---

(١) سورة هود: ٧٧ – ٨٠.

(٢) حوار الأنبياء مع أقوامهم في القرآن، ٢٧٦.

(٣) سورة هود: ٧٧.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير (٧/٧٩) تفسير السعدي ٣٨٦.

(٥) تفسير ابن جرير (٧/٨٠) .

(٦) سورة هود: ٧٨.

(٧) سورة الشعراء: ١٦٥ – ١٦٦.

قال تعالى: ﴿ ... ﴾ [1].

قال ابن كثير – رحمه الله - : يقول تعالى مخبراً عن نبيه لوط – عليه السلام – إن لوطاً توعدهم بقوله: "لو أن لي بكم قوة" لكنت نكلت بكم وفعلت بكم الأفاعيل ، ولهذا جاء في الحديث عنه r قال: (رحمة الله على لوط لقد كان يأوي إلى ركن شديد) – يعني الله عز وجل – فما بعث الله بعده من نبي إلا في ثروة من قومه. فعند ذلك أخبرته الملائكة أنهم رسل الله إليهم وأنهم لا وصول لهم إليه[2].

فكان من تكريم الله لنبيه لوط – عليه السلام – أن هيأ هؤلاء الرسل من الملائكة إليه، وأمروه أن يسري بأهله من آخر الليل ، وأن يتبع أدبارهم أي يكون[3] ساقة لأهله (ولا يلتفت منكم أحد) إلا تلك الزوجة الفاجرة حيث لم تكن زانية؛ لأن زوجات الأنبياء لا يقع منهن هذا ، ولكنها كانت تعين قومها على فعلهم الشنيع ، فإن العذاب لاحق بها.

وقد ذكر المفسرون وغيرهم: أن جبريل - عليه السلام - خرج على قوم لوط فضرب وجوههم خفقة بطرف جناحه فطمست أعينهم ، حتى قيل: إنها غارت بالكلية ولم يبق لها محل ولا عين ولا أثر ، فرجعوا يتحسسون مع الحيطان ويتوعدون رسول الرحمن ويقولون: إن كان الغد كان لنا وله شأن[4].

فلما كان من الصبح حلّ بهم العقاب من الله تعالى ، قال تعالى: ﴿ ... ﴾ [5]. وقال تعالى: ﴿ ... ﴾

---

(١) سورة هود: ٨٠ – ٨١.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٥٩٠ – ٥٩١) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٥٩١) .

(٤) قصص الأنبياء، لابن كثير ١٣٤.

(٥) سورة الأعراف: ٨٤.

‰ZÃ ÞBß¡ Þ ÇÑÈÈ Šzqà ZB @Šéí Å `Þ Z$ f ïm $gßã $RëÜÞr $g-Ü$™ $gŠî»ã $Yèè_ $RêÐ&

.(١) á ÇÑÌÈ ‰‹ê7Î šú üÜî»à9$`Þ ‘Ü $Br š• Îh‘

وقال عز شأنه: ûüÑÎ3 Ãàèsßá 9$ÑÃß‹ { 'ù ÇÐÈÈ bqßJè ƒ ÑÎ•3™ ’Å9 ÑÃÎ 8êÒè9 â:

.(٢) á ÇÐÍÈ @Šéí Å `Þ Z$ÚÏm ÑÍÐã $RëÜÞr $g-Ü$™ $kŽî»ã $Yèè f ù ÇÐÌÈ

وقال في سورة العنكبوت ä¤$J¡ 9$šÆ Þ #Y_ í þƒë)ßÑÉ»d è@ed& #?ã šc qßí\Ã$RÎ â

.(٣) á ÇÌÍÈ šc qàÝÿƒ(qÇ%. $JÎ

وقال في سورة القمر عن حالهم: ÑÍÐã $Zè™ö& $RÎ ÇÌÈ íäZ9$Î Þqß Ñ/¤. â:

ß)9r ÇÎÈ •3© `B “ ìqu 7Ï°‹. $R¥Yã ôÞ ZJèÐÇÍÈ 9s ¡Î NßY¤ÇÙ Þqß A#ä ¼Î $7Ï¹ %n

(qèräù ÑÅÃß& $Zó JÜù ¾ÏÿÞÊ `ã ç¤Šr°‘ ß)9r ÇÌÈ íäZ9$Î (÷‘$JFù $ZF±Ð/ Nè‘‹R&

.(٤) á ÇÌÈ ¤ßÇó Þ Ò#‹ã ç•ßÇNßs7¹ ß)9r ÇÐÈ íäçr ’Î#‹ã

فكان من امتنان الله على لوط – عليه السلام – أن استجاب الله له بهـــلاك قومـــه وأنعم عليه وعلى أهله – إلا امرأته – بنعمة النجاة من الكرب العظيم جزاء لهم؛ لتحقيقهم عبودية ربهم وقيامهم بشكره والثناء عليه.

---

(١) سورة هود: ٨٢ – ٨٣.

(٢) سورة الحجر: ٧٢ - ٧٤.

(٣) سورة العنكبوت: ٣٤.

(٤) سورة القمر: ٣٣ – ٣٨.

المبحث الرابع

عبودية موسى وهارون وعيسى

- عليهم الصلاة والسلام -

المبحث الرابع

عبودية موسى وهارون عليهما السلام

موسى كليم الله، كبير أنبياء بني إسرائيل، أحد أولي العزم من الرسل.

موسى بن عمران[١] - عليه الصلاة والسلام – وعمران والد موسى -عليه السلام- من نسل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام[٢].

وحينما نتحدث عن عبودية موسى أو عبودية هارون – عليهما الصلاة والسلام – لابد أن نبدأ الحديث عن موضوع النبوة والرسالة.

بدء النبوة:

أقام موسى في أرض مدين عشر سنين المتفق عليها في خدمة الشيخ – الرجل الصالح – ثم توجه بأهله نحو الجنوب حتى أدرك طور سيناء[٣] التي توصله إلى مصر ، ووصل إلى واد مقدس فيها يسمى: وادي طوى، وهو الوادي المحاذي لجبل معروف فيها، وهو جبل الطور، وهناك ظل موسى – عليه السلام – الطريق فحار في أمره ، والْتَوى عليه قصدُه ولكن عناية الله لاحظته، فلم يَخْبُ ضياؤه و لم ينطفئ رجاؤه، سار موسى– عليه السلام - غير بعيد ، فأبصر من الجهة التي تلي الطور ناراً، فحط رحاله وأسرع وحده إلى النار بعد أن قال لأهله:[٤] [illegible] وقال أيضاً:[٥] [illegible]

---

(١) ليس هو عمران المذكور في سورة آل عمران في قوله: [illegible] فإن عمران في هذه الآية هو والد مريم أم عيسى انظر: تفسير ابن كثير ١/٤٦٨.

(٢) انظر قصص الأنبياء، لابن كثير ١٩٩ – البداية والنهاية لابن كثير.

(٣) يقع طور سينا بين مصر وإيله، وهو جبل موسى – عليه السلام – وقيل جبل بالشام. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (١/٥٨٧) تعريب أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، تحقيق عدنان درويش ، محمد المصري ، تاج العروس (٣٥/٢٥١) .

(٤) انظر مع الأنبياء في القرآن، عفيف طبارة، ٢٢٥، قصص القرآن، محمد جاد المولى، ١١٩، القصص القرآني صلاح الخالدي، ٢/٣٤٧.

(٥) سورة القصص: ٢٩.

وقال أيضاً: [1]

وقال في سورة النمل: [4]

قال ابن كثير – رحمه الله –: وكانت ليلة شاتية ، ونزل منزلاً بين شعاب وجبال في برد وشتاء، وسحاب وظلام وضباب، وجعل يقدح بزند معه ليري ناراً كما جرت له العادة به، فجعل لا يقدح شيئاً، ولا يخرج منه شرور ولا شيء فبينما هو كذلك إذ "آنس من جانب الطور نارا" أي ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن يمينه، فقال لأهله يبشرهم: أي شهاب من نار وفي الآية الأخرى: وهي الجمر الذي معه لهب دل على وجود البرد ، وقوله: دل على وجود الظلام وقوله أي من يهديني الطريق ، دل على أنه قد تاه الطريق وقوله أي إن لم أجد أحداً يهديني الطريق أتيتكم بنار توقدون بها"[3].

---

(١) سورة طه، ٩ – ١٠.

(٢) سورة النمل: ٧.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (١٩٣/٣) .

(٤) سورة طه، ١١ – ١٦.

Š#qø¤ÃÜ»© `Ï š" Šqç$g8?% $Ï=ù â وقال في سورة القصص [١] á ÇÌÈ ãÅtø$ýí êø¤ª! $$R&

á ÇÌÈ šú üÜ=èø¤U ' ª! $$R& þ† õ) Ø› qÛ»ƒ b& ó• f ±9$` Ï þÝ2 •»7Ûø¤þèÞçø¤'Î ÇJ≠Ì$

[٢].

١/ عند التأمل في مبدأ الوحي والرسالة لموسى - عليه الصلاة والسلام – نجد أن الله كلّم موسى – عليه السلام - قال تعالى: â r.=N$ ª! qß› ?6 îóÅ $gß8?% $Ï=ù â وقد كلمه من [٣] á $VÝî وراء حجاب وهو الشجرة المذكورة في قوله: â r.=N$ ª! qß› ?6 îóÅ $gß8?% $Ï=ù â Šqç$ ”Ï š© ¼Ü ÃÄ#qø¤

á ó• f ±9$` Ï þÝ2 •»7Ûø¤þèÞçø¤'Î ÇJ≠Ì$ [٤].

وهذا هو المذكور في قوله سبحانه: â r.$ Ïb% ;Ù b& Ã³Ä ;ãJÏ$ ª! ÎvÝ ›ô‹& r ' Ï` Ç

á ÇÌÈ ÒÅ6 m ;'íã ¼çÑ Î â± „$ ¾ïÏ Ó Ç qã Ù Ý qÑ ' Ø Ä e ã& A $gÉ [٥].

فكونه سبحانه يكلم موسى – عليه السلام - مباشرة بدون وحي، إنما من وراء حجاب هذه من أعظم الخصائص التي اختص بها عن غيره من الأنبياء.

٢/ ثم إن الله تبارك وتعالى بدأ تكليمه لموسى – عليه السلام - بالبداية الأساسية والقضية العظيمة الكبرى، وهي تحقيق عبودية الله، ومبدأ العقيدة والوحدانية حيث قال: â Î ÑçÎ فهو هنا بين له توحيد الألوهية، á ü Ï ò2 Ï Î o4=Á 9$ É Ï& r ' Î ç ã$ Ù D& W Î m»9Î w ª! $$R& وقال: â r.=N$ ` »‹ ' É ã& Ø› qÛ»ƒ بين ووضح له توحيد الربوبية á ûüÏ»è ø¤É ã& á ãÅtø$ýí êø¤ª! $$R& ÑçÎ .

بين له هنا توحيد الأسماء والصفات، ولاسيما أن هذه هي دعوة الرسل وهذه لا شك أنها قضية مهمة لموسى عليه السلام؛ لأنه سيواجه رجلاً ظالماً كافراً ادعى الألوهية

---

(١) النمل: ٨ - ٩.

(٢) القصص: ٣٠.

(٣) سورة النساء: ١٦٤.

(٤) سورة القصص: ٣٠.

(٥) سورة الشورى: ٥١.

والربوبية، بل ويدعو قومه إلى عبوديته دون عبودية الله فلابد أن يعلم موسى - عليه السلام - منذ نقطة البداية أن الله هو المعبود وحده دون سواه وهو رب العالمين وهو العزيز الحكيم[١] .

٣/ كما حضه على أمر عظيم مع العبودية له وحده وهي إقامة الصلاة لذكره إذ هي الركن الثاني بعد الشهادتين ولا شك أن موسى —عليه السلام - قد أقام هذه الشعيرة خير قيام.

فكانت بدء نبوته، إذ خصه الله بكرامته، وبعثه برسالته، وهناك سمع نداء الله الكـــريم: á ÇÈ Ø› qÃ»ƒ 7ÎŠÜŠÎš• ÜÎ $Br â فعجزت قدرته البشرية أن تسمو إلى سر الإبداع[٢] في السؤال الإلهي الكريم[٣] ، فأجاب كما يجيب غيره من الناس ‹ž2 q?& " $Á ã ‘ Üd â á 3ª •zéÜÍ$« B $kŽÙ ’ír ‘ÜZî 4?ã $k͕· ède $kÖæ[٤] .

٤/ ولم يقف موسى في الجواب إلى هذا الحد فأخذ يبين بعض منافع عصاه زيادة في طول لذة المناجاة، لعله يسأله عن هذه المآرب والمقاصد فيزداد لذة وتطـــول تلـــك المناجـــاة الربانية، وكل ذلك إنما هو تمهيد للمعجزة وسؤاله سبحانه سؤال إيناس واســـترواح[٥] A$% ÇÈ Øëó ¡ ¤šm ‘ Üd #Œfù $g8) Øù â وتكون المفاجـــأة á ÇÈ Ø› qÃ»ƒ $gÉØ A$% â [٦] á ÇÈ 4‹rV$g?Ž•Å $dŠ‹èª â , ? Ÿr $dÖé

وقال أيضاً: Ÿv Ø› qÃ»ƒ é=ÉèãÓ9r #•Î‰ã 4¯r A` $K(. •Ik $d#ä‘ $Ð=ù 8$ Á ã È,Ør â Ôqšî ’ûù ãqÎ ‰è/ $K ã A‰/ ÔêO=ß `B ŸvÎ ÇÈ bqè™ëÃ$£ $! Ï $ƒ† Ÿv ’Îû â , ? bôãëù 4‹Î ÐÍ»ƒ#ä Æé Î ’Î ãqÎ Îöî ôÐ ä$ÙØ ó ëã 7îø_ ’Î 8‰ƒ ÔÅš&r ÇÈ ÞÏm§ ös Å #‹»d ‰q‰ ŽÅÇ ã $Yè ƒ#ä Ïãã ` $Þù ÇÈ ûüÉÅ»ù $ÐÔ ‰q. Ïã ÿÏÐ‰r

---

(١) انظر القصص القرآني (٢/٣٥٥) .

(٢) سورة طه: ١٧.

(٣) قصص القرآن، محمد جاد المولى، ١١٩.

(٤) سورة طه: ١٨.

(٥) قصص الأنبياء القصص الحق، ٢٣٠، القصص القرآني (٢/٣٦٠) .

(٦) سورة طه: ٢٠ — ٢١.

[illegible] .[1]

وقال في سورة طه [illegible]

[illegible] .[2]

وقال سبحانه: [illegible]

[illegible] .[3]

فتأمل تحويل تلك العصا الجامحة اليابسة إلى حية حقيقية، زاحفة معجزة باهرة وهي من أمر الله وفعله، فهو سبحانه المحيي البارئ المصور، فهو قادر على ذلك وكما يخلق الحي خلقا مباشراً، فإنه يحول الجامد إلى حي؛ ولهذا نفخ الحياة في العصا فحولها إلى حية تسعى[4].

ثم تأمل مرة أخرى حال تلك الحية حينما دبت فيها الحياة، صارت تهتز وتتحرك وتضطرب حالها في هذا كحال الجان؛ ولهذا قال في سورة النمل " [illegible] " وقال ذلك أيضا في سورة القصص " [illegible] " ثم بعد أن انتهى ذلك الاهتزاز والاضطراب انتقلت إلى مرحلة الزحف والمشي والسعي[5] ، وهذا ما ذكرته آية سورة طه " [illegible] " ثم قال سبحانه: [illegible]

---

(١) سورة النمل: ١٠ – ١٤.

(٢) سورة طه: ١٧ – ٢١.

(٣) سورة القصص: ٣١ – ٣٢.

(٤) القصص القرآني (٣٦٤/٢) بتصرف يسير.

(٥) انظر: القصص القرآني (٣٦٥/٢) .

وقد أجاب الله تعالى دعاءه وأعطاه[1] كل ما سأل.

٥/ إذن موسى نبي رسول من رب العالمين، وهو من أولي العزم من الرسل ، كليم الله وهارون نبي من الأنبياء قال الله عنهما في كتابه: .[2]

٦/ وصف موسى – عليه السلام - بالإخلاص المراد هنا فيما هو شأنه وهو الرسالة بقرينة المقام، وخص موسى عليه السلام بعنوان "المخلص" على الوجهين؛ لأن ذلك مزيته فإنه أخلص في الدعوة إلى الله، فاستخف بأعظم جبار وهو فرعون وجادله مجادلة الأكفاء، كما حكى الله عنه في قوله تعالى في سورة الشعراء: " إلى قوله: " وكذلك ما حكاه الله عنه بقوله: " فكان الإخلاص في أداء أمانة الله تعالى ميزته؛ ولأن الله اصطفاه لكلامه مباشرة قبل أن يرسل إليه الملك بالوحي فكان مخلصا بذلك أي مصطفى لأن ذلك مزيته. قال تعالى: " والجمع في الوصفين "رسولاً نبيا"

---

(١) سورة طه: ٢٢ – ٣٦.

(٢) سورة مريم: ٥١ – ٥٣.

لتوكيد الوصف إشارة إلى أن رسالته بلغت مبلغا قويا فقوله "نبيا" تأكيد لوصف "رسولا"[1].

وقال في سورة الأعراف: "Ü»=3îr ÓÉ=»™ÍîÄ $Z9$'?ã 7¢ÿÜî $'ÕÍ›qß»ƒA$%".

/٧ ومن المنن التي امتن الله بها على موسى عليه السلام أن وهب له أخاه هارون، أي أن الله عززه به وأعانه به ، إذ جعله نبيا وأمره أن يوافقه في الدعوة؛ لأن في لسان موسى – عليه السلام - حبسة وكان هارون – عليه السلام - فصيح اللسان، فكان يتكلم عن موسى – عليه السلام - بما يريد إبلاغه، وكان يستخلفه في مهمات الأمة، وإنما جعلت تلك الهبة من رحمة الله ؛ لأن الله رحم موسى عليه السلام إذ يسر له أخا فصيح اللسان، وأكلمه بالإنباء حتى يعلم مراد موسى – عليه السلام- مما يبلغه عن الله تعالى و لم يوصف هارون – عليه السلام - بأنه رسول إذ لم يرسله الله تعالى ، وإنما جعله مبلغا عن موسى –عليه السلام - وأما قوله "فقولا إنا رسولا ربك" فهو من باب التغليب[2].

/٨ فمن تمام عبوديتهما لربهما استجابتهما السريعة لنداء الله وتطبيق أوامره على الفور فقد بلغا رسالة الله في فرعون وقومه، وصبرا على ما لقياه من تعسف وتعنت فرعون والمعاندين من بني إسرائيل بل وأمر موسى عليه السلام من آمن منهم بالصبر والثبات عليه ôÏâ±„`B$gÐqã¬ÚöF$žc ÎÝÉ$«Ï(qãèGÕ$ïBö)Ï›qãA$%â

á Ç¨ÈšúüÉ7É»è¾íŠ$6ã[3] وبين لهم أيضاً عاقبتهم الحميدة إن هم أطاعوه والعاقبة للمتقين".

/٩ ومن تمام عبوديتهما لخالقهما صدق اعتمادهما وتوكلهما عليه في سائر الأحوال، وقد كان موسى – عليه السلام – يأمر قومه بتحقيق هذه العبودية ألا وهي عبودية التوكل على الله.

---

(١) التحرير والتنوير (٧/ ١٢٦ – ١٢٧).

(٢) المصدر السابق (٧/ ١٢٨ – ١٢٩) .

(٣) الأعراف: ١٢٨.

’?ã ¢qßš)ù ÇÑÍÈ ûüÜÎ÷ó¤ Lêäa bÎ ¢pè©q? ïnøèù «ı ß Lêäa bÎ Pçó)»ƒ Ó› qßA$%r â

Ïçó)ßš `¤ š• Ï¤ĥq•Î $Yƒ‰r ÇÑÍÈ šú üÜÎ÷ó¤9$ÏÇó)ó ßZF¤u $Z¢èq¤ Ÿw $Z/‘ $Z¢©q? «ı ß

.(١)á ÇÑÍÈ ûüÍ÷Ÿ»3ßš

١٠/ ومن منن الله على عبديه موسى وهارون عليهما السلام ما ذكره الله في سورة الصافات

ÇÍÎÈ ÉŠÀèßÉ≥ ö 6 ßš `¤ $JßB¤%r $JßZßTUr ÇÍÈ šc rãdr Ó› qßA4?ã $ZY¤ ß)9r â

$JßY≠‰dr Ç¤È ûüÎKó¤ 3ßš=»GÅßš$JßY•?#är Ç¤È ûüÎÎ»óßšÈ ¢qß%3ù ÏßR≠Ç Rr

4† › qßA4?ã Ð»=™ Ç¤È šú ï÷ÅF$’Î $Jß¤æ $Zø•?r Ç¤ÑÈ LìÉGó¤ 3ßš Þ°ŽÇ 9$

šú üŸ¤s3ßš$RŠ$6ã ô¤ $JßÎ) Ç¤È šú üŸÅó¤ 3ßš“ ì¤u š• ¤°‹Ÿ2 $RÎ) Ç¤È šc rãdr

.(٢)á Ç¤È

١١/ كما كان عليه الصلاة والسلام حريصاً كل الحرص على مساعدة المحتاجين والنظـــر في شؤونهم، كما حصل لهاتين المرأتين ، ولو ذهبنا نتتبع الحكم الكثيرة والمزايـــا العظيمـــة لشخصية موسى عليه السلام لما استطعنا حصرها بعدد ولا حد.

١٢/ ومن ذلك جهاده ضد أعدائه ، مع تحمله من الصبر والمصابرة والعناء ، مع ذلك كلـــه ورغم أن الله أكرمه ونصره على فرعون ، والله ينصر رسله في الدنيا والآخرة ، إلا أننا نجده مع بني إسرائيل رغم شدته وغضبه تارة ، ورغم استغفاره وصفحه عنـــهم تـــارة نجده وقد طفح الكيل وبلغ السيل لا يزيد على قوله(٣) ÓÅ¤ÿR ¤vÎ a7 ¤ß& w ’Ï) Ê ‘ A$% â

. á Ç¤ÎÈ ûüÉÅ»ÿ¤ß9$Qó)ßš ù¤/r $YY•/ ø©ßš Ó Å&r

(١) سورة يونس: ٨٤ – ٨٦.

(٢) الصافات: ١١٤ – ١٢٢.

(٣) القصص القرآني إيماؤه ونفحاته، أ. د. فضل حسن عباس ٣٤١.

١٣/ كان دائم التضرع والدعاء لله وكان سبحانه يؤتيـــه سُـــؤْلَه š• îôãb‰ Ìãš‘ Ø¤ã â

Ú öŦ$žc Ĵâ á bqèJè? #øŸ2 •ãZ‹ù ÇJ öŦ$'Î Ìà6 ÿî÷ Góƒr Ìà2 ïŒãŦ

.[١] á šú üÞ-ÌÜè7É»èØr ¾íŠ$¶ã ôB âŒ±„ `B $gÞíqã

كان حريصا على إصلاح قومه بمظهر العلم والعمل ، ومحاربة الضعف وإخلاص العقيدة لله رب العالمين.

(١) الأعراف: ١٢٨.

عبودية عيسى – عليه الصلاة والسلام –

حرص القرآن الكريم أن يقدم للبشرية جمعاء، قضية المسيح كاملة بكل عناصرها وتفاصيلها؛ لأنها كانت وسيلة أهل الكتاب للجدل والمناقشة في دين الإسلام ، ولما كان أهل الكتاب قد حرفوا كتبهم، فانحرفت عقائدهم ومفاهيمهم ، فقد أخذوا يستدلون بهذا التحريف للطعن في دين الإسلام ونبي الإسلام ، وكتاب الإسلام، ومن هنا تصدى لهم القرآن ، وأخذ يفند مزاعمهم ، ويضع أمام الناس جميعا المؤمنين والكافرين على السواء قضية رسول الله وكلمته، قول الحق المسيح[1] عيسى ابن مريم البتول قائلاً سبحانه:

$gŠÅr Nƒ¤B ÓÓ¤ŠÃ ŠÅJ¤Ó3Ï B¿Å;ã©$bÎ »ƒ¤3Í=J¤M9$% Ê â
šú üÅÎ»Á9$`Ïr WÔÝ2 r‰ôJ¤'Î ¨ $Y9$¤k6 ãr ÇÍÈ ûüÎ)Ó¤`Ïr Ï•ÅÝ$r $<Ρ‰9$'Î
#ŒÎ â±„$B ß¾;ƒª$ÅÏ°< Ÿ2 A$% ž³0 ÓÍó¡ðƒÓ9rÓr 'íãqaƒ4T&é‘ M9$% ÇÍÈ
Ï<ÅÑ¤r p1‘ó9$r pJò6 ïø¤r =»GÅ¤Ó3è r ÇÍÈ ãqaù `ä¼ç9 Åqaƒ $JΡÎù #•¤& ÉÓ%
ÈüÏ9$šÆ Ï Nà6 9 ß¾z&þÎ Nà6 Îs`Ï ƒ$«Î NåçøÅ ‰% 'Î Ï ƒäÅžóÎ Ó Í/ 4<Î »wqΡ‘r ÇÍÈ
4ÄóK¤Ó é š Ý •ÐF$r mJò2 F$ÛˆÏ é «¤È6ÎÎ #ÏÛ ãqaù ï<Ïã ÏR'ù ÎÏÖ9$Ïþ«g.
OÇZäbÎ Nå[ƒÝ 7Ï°E 'Îb Nà6 Ïqãç'Îbrãå‰? $Br bqèÛ? $JÎ Nåê¤é «¤È6ÎÎ
Pèñ “ Ï‰Ó$ Ù è/ Nà6 9 @ÏmT{r þ1‘ó9$šÆ Ï £“ ‰ƒ šú ï/ $JÏ $ÏÏ Á ãr ÇÍÈ šú üÏÏ s Ï
Nà6 š‘r † Îr Ó$bÎ ÇÍÈ ãqã<Ûr Ó$(qà?$ Nà6 Îs`Ï ƒ$«Î /åçøÅr Nà6 ø
.[2]á ÇÍÈ ÒŠÉGóÏ Ô°ZÅ #‹»d ç‰‰6ãÓ

١/ هكذا بشرت الملائكة مريم بكلمة من الله اسمه المسيح عيسى بن مريم فتضمنت البشارة نوعه، وتضمنت اسمه ونسبه، وظهر من هذا النسب أن مرجعه إلى أمه (مصدقا بكلمة

(١) دراسات في التفسير الموضوعي القرآني ٣٣٤، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
(٢) سورة آل عمران: ٤٥ – ٥١.

من الله) أي بولد يكون وجوده بكلمة من الله أي يقول له[١] (كن فيكون) كما قال سبحانه: [٢].

٢/ جعل عيسى عليه السلام وأمه آية للعالمين كما قال في سورة الأنبياء [٣] وقال في سورة المؤمنون [٤].

وقوله سبحانه: [٥].

٣/ هذه الآيات الكريمة حوت عدداً مما يكون عليه عيسى – عليه السلام- من صفات عظيمة:

أ/ (وجيهاً في الدنيا والآخرة) أي له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا بما يوحيه الله إليه من الشريعة ، ويتزل عليه من الكتاب ، وغير ذلك مما منحه الله به، وفي الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه فيقبلها منه[٦].

ب/تكليمه للناس في مهده وكهولته ، أي يكلم الناس بما فيه صلاحهم وفلاحهم وهو تكليم المرسلين، ففي هذه الرسالة ودعوته الخلق إلى ربهم فهو في حال صغره معجزة وآية حيث ينتفع بها المؤمنون ، وفي حال كهولته يكون حجة على المعاندين أنه

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٤٧٥) .

(٢) سورة يس: ٨٢.

(٣) الأنبياء: ٩١.

(٤) المؤمنون: ٥٠.

(٥) آل عمران : ٤٢ .

(٦) تفسير القرآن العظيم (١/٤٧٥) .

رسول رب العالمين ، وأنه عبد الله وليكون نعمة وبراءة لوالدته مما رميت به (ومن الصالحين) أي في قوله وعمله له علم صحيح وعمل صالح"[١].

ج/ تعليمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بني إسرائيل ، وهذه أمور أربعة معطوف بعضها على بعض بواو العطف، والمراد من الكتابة تعليم الخط والكتابة ، ثم المراد بالحكمة تعليم العلوم وتهذيب الأخلاق ؛ لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته ، والخير لأجل العمل به ، ومجموعها هو المسمى بالحكمة، ثم بعد أن صار عالما بالخط والكتابة ومحيطا بالعلوم العقلية والشرعية علم التوراة، وإنما أخر تعليم التوراة عن تعليم الخط والحكمة؛ لأن التوراة كتاب إلهي وفيه أسرار عظيمة ، والإنسان ما لم يتعلم العلوم الكثيرة لا يمكنه أن يخوض في البحث على أسرار الكتب الإلهية، ثم قال في المرتبة الرابعة الإنجيل وإنما أخره عن التوراة ؛ لأن من تعلم الخط، ثم تعلم علوم الحق ، ثم أحاط بأسرار الكتاب السابق ، فقد عظمت درجته في العلم، فإذا أنزل الله عليه بعد ذلك كتاب آخراً وأوقفه على أسراره فذلك هو الغاية القصوى والمرتبة العليا في العلم والفهم ، والإحاطة بالأسرار العقلية والشرعية، والاطلاع على الحكم العلوية والسفلية[٢].

وقوله في آل عمران: Nà6 îs`Bp7f$«Î Na6qÅ_ %6 'îd@fÄÅŽóÎÓÍ/ 4<Îwqr‘r â: Ûˆ ìÞ«ÈÈÎ#ÌÛÎaqa<ùÌ<Ùa¤ÎR'ùÎÈÖ9$Ïp«g. ÈÙÈÜ9$šÆ Ë Nà6 9 ß,èz&pÎd 'Îbrã¿Å‰?$Br bqèÙ?$JÎ Na¤ÎÞé «‹$ÈÈÎ 4ÄÖK¿ÅÓÓé š Ý •Ð[$ m Jò2 F[$ £‘ %ƒ šú ü/$JÏ$ÏÞÁßr ÇÍÈ šú üÏÈs¿O£Ïäb) Nà6ÇÞ/Ï 7Ï‰Œ 'Îb) Nà6 Ïqã‰ Nà6 Îs`Bp7f$«Î /a6qÅr Nà6 øæPìm “ Ï%©$Ù è/ Nà6 9 @ïm[r ï1‘ôÇ9$šÆ Ë ÇÍÈ Ò¿É‹óÞ Ê‰ŽÅ #‹»d ¤r‰6ã$Ù Nà6 š‘r † Îr ©$b) ÇÍÈ Ëqã‹Ù&r ©$[qà?$Ù.[٣]á

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤٧٥/١) ، ابن السعدي ١٣١.

(٢) التفسير الكبير، للفخر الرازي (٤٧/١٨) دار الكتب العلمية .

(٣) آل عمران: ٤٩ – ٥١.

وقوله في سورة المائدة: 4?ãr 7 øã ÓÉJèÏ öà2 ßNƒóB ûüÓ¤Šè»ƒª ¦A$% ßî â :

š• Ëô¯æ ßîr WŵŸ2 r ‰ôJßè'Î ¨ $Y9$ÐÏk3êÄ ‰àßèÇrèî š• ?‰ƒ& ßî 7ï$Î°r

$ŽÏ ã ãZFù 'ÎßîÎ ÎöÖ9$þ«åg. ÈüÈÜ9$` Bßèß ßîr Ÿ‹ÅÙY¦$ p1'ÖÇ9$r pJ¯ïßè$r =»FÅ6 ßè$

.[1]á 'ÎßîÎ 4ÄôJßè$ßÌ•ßè ßîr 'ÎßîÎ š Ý •ßF$r mJò2 F$äÎßèr 'ÎßîÎ #ÌÙ ãqãFù

٤/ وقد أعطى الله عيسى آيات ومعجزات صادقات وجهها لبني إسرائيل دليلاً على صدق نبوته، وهي إيجاد الطير الحي من التمثال الجامد وإبراؤه الأكمه والأبرص، وإحياؤه الموتى — بإذن الله - وإخباره بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم.

.[2]á ÇÌÈ ÒšÉGóB Ê°ŽÂ #‹»d çr‰çã$ ìà6 š'r † Îr ¢$bî â :وقال سبحانه

٥/ فهو نبي رسول من أولي العزم من الرسل، أرسل إلى بني إسرائيل وهو خاتم الرسل في بني إسرائيل، وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له.

٦/ وقد كانت أول مقولة له في مهده اعترافه بعبودية ربه ÓÍ_9?#ä ‹ ¦ßŽãã 'ßî A$% â

$B íqŸ2 "9$r íq=Á9$ ÓÍ_» ¹ r&r ìZà2 $B ûüÌº.'$7ã ÓÍ_è_r ÇÌÈ $ŠÎR ÓÍ_è_r =»GÅ$

Pöƒr N$ÎãPöƒ ¥?ã ã»=¡ 9$r ÇÌÈ $ÉÉ© #Y7_ ÓÍ_èqr ìß9r 'Î$Î°qÎ #Cr ÇÌÈ $m ÌÐß

.[3]á ÇÌÈ $m ßèÉPöƒr ŸV qã&

قال ابن كثير — رحمه الله -: "أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد وأثبت لنفسه العبودية لربه وقوله "ÓÍ_9?#ä $ŠÎR ÓÍ_è_r =»GÅ$" تبرئة لأمه مما نسبت إليه من الفاحشة[4].

قلت: وفي هذه الآية العظيمة تفنيد لآراء النصارى الفاسدة حول ما قيل في مريم - عليها السلام - .

---

(١) المائدة: ١١٠.

(٢) آل عمران: ٥١.

(٣) سورة مريم: ٣٠ — ٣٣.

(٤) تفسير ابن كثير (٣/١٦١) .

ففي قوله "«ŠÎ7ã 'ÎA$%" تكذيب مبكر لما سيزعمه النصارى من أنه ابن الله فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى وربوبيته رداً على المغالين فيه[١].

وفي قوله "$ŠÎR ÓÍ=è_r" تكذيب مبكر لما سيزعمه اليهود – حيث سيكفرون به وينكرون نبوته ويحاولون قتله [٢].

وقوله "..ÅMZà2 $B ûüÏ‰ºƒ$7ãÓÍ=è_r"

أي في أي مكان وفي أي زمان ، فالبركة جعلها الله فيَّ من تعليم الخير والدعوة إليه والنهي عن الشر، والدعوة إلى الله في أقواله وأفعاله فكل من جالسه أو اجتمع به نالته بركته، وسعد به مصاحبه[٣].

"$¨m ÅMßÎ$B ôÏY2 "9$# ôÏ=Ä9$ÎÓÍ» ¹ r&"

أي أمرني بهما أمراً مؤكداً ، والظاهر أن المراد بهما ما شرع في البدن والمال على وجه مخصوص[٤].

٧/ "Î$Î°q7 #Œr" أي ومن تمام عبوديته لربه بره لأمه ، وأن يحسن إليها غاية الإحسان وأن يقوم بما ينبغي لها ؛ لشرفها وفضلها ولكونها والدة لها حق الولادة وتوابعها[٥].

٨/ "$¨ÉE© #Y7_ ÓÍ_è=t ÏN9r" أي لم يقض الله علي بذلك في علمه الأزلي فلم يجعلني متعظماً متكبراً ولا عاصيا لله ، بل جعله سبحانه مطيعاً له خاضعا خاشعا متذللا متواضعا لعباد الله ، سعيدا في الدنيا والآخرة أنا ومن اتبعني[٦]."Nƒ¨B ÏÅ¡ÓÏ¤Šã 7Ï°E"

" brçÏÒƒÏ‰Ïu ‘ Ï%©!$#ÈÏs9Ï^ Ï%

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠٢/٦) .

(٢) قصص القرآن، صلاح الخالدي (٢٧٤/٤) .

(٣) تفسير السعدي، ٤٩٢.

(٤) روح المعاني (١٢٣/٩) أبي السعود (٢٣٩/٤) .

(٥) تفسير السعدي، ٤٩٢.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٢/٦) روح المعاني للألوسي (١٢٣/٩) تفسير السعدي ٤٩٢ .

أي ذلك الذي ذكرناه عيسى ابن مريم ، فكذلك اعتقدوه ، لا كما تقول اليهود إنه لغير رشده ، وأنه ابن يوسف النجار ، ولا كما قالت النصارى إنه الإله ، أو ابن الإله ، أو ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علو كبيراً[١].

٩/ والإشارة بقوله: "ذلك" إشارة إلى من فُصّلت نعوته الجليلة ، وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو مرتبته ، وبعد منزلته ، وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة الشاهد المحسوس[٢].

١٠/ كما أخبر سبحانه أن وظيفة عيسى – عليه السلام - ليست بدعاً من الرسل ، بل هي مثل غيره من الأنبياء والمرسلين دعوة لعبودية المولى تبارك وتعالى ولذلك قال الله عنه: á ÇÎÈ Ø/ïÅ•Ö) Ó[6) WWB p»Yè_r ïøã $ZðèR‰ õã ŸwÎ qè‘ÐÎ â[٣] فهو عبد من عباد الله ، ليس له أمر من خصائص الألوهية أو الربوبية إنما هي حق للواحد الأحد ، لا يرفع فوق منزلته التي أنزلها الله، فله مرتبة الرسالة ، لذا فهو لا ينفع ولا يضر إلا بإذن الله ولا يعلم من الغيب إلا ما أعلمه الله تبارك وتعالى قال سبحانه وتعالى : ûøïÓ¤Šèã $Y•?#är â[٤] á Ä Ïà¿Ç rèÎ p»Rf&r ÏM»YÉNfé.

١١/ ومما يدل على بشريته وعدم صلاحيته للألوهية قوله سبحانه: Oïè‹B ÚÆ ïŠÅJ‹B â[٥] á P$èÖ9$ÈYà2 ûï $R‰Ÿ2 px)ïÌ1 ¼çBér @Ï•9$Ï‰7 `B M=z ‰ AqÏ‘ŸwÎ .

فهذه الآية أبطلت ألوهية المسيح وأمه من وجهين كما يقول ابن القيم- رحمه الله -

الأول: حاجتهما إلى الطعام والشراب الدالة على ضعف بنيتهما عن القيام بنفسيهما ومن هذه حالة لا يكون إلها إذ من لوازم الإله أن يكون غنيا.

الثاني: استلزام ذلك حصول الفضلات القذرة، التي يتتره عنها مقام الألوهية ولهذا – والله أعلم – كني عنها في الآية بلازمها الذي هو أكل الطعام.

---

(١) تفسير القرطبي (١٠٥/٦) .

(٢) تفسير أبي السعود (٢٣٩/٤) .

(٣) سورة الزخرف: ٥٩.

(٤) سورة البقرة: ٨٧.

(٥) سورة المائدة: ٧٥.

فكيف يليق بالرب – سبحانه – أن يتخذ صاحبة وولداً من هذا الجنس ، ولو كان يليق به ذلك ، أو يمكن لكان الأولى به أن يكون من جنس لا يأكل ولا يشرب ولا يكـــون منه الفضلات المستقذرة التي يُستحيا منها ويرغب عن ذكرها(١).

١٢/ ومن تمام عبوديته لربه أنه جاء مبـــشراً بمحمـــد r

.

(٢).

كما ذكر رسول الله محمد r أنه أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه ليس بينه وبين محمد رسول الله r نبي، فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه سمع النبي r يقول: أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينـــه نبي"(٣).

كما روى البخاري في صحيحه في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قـــال: قال رسول الله r "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، في الدنيا والآخرة والأنبياء إخـــوة لعلاّت(٤)، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"(٥).

١٣/ ومن عبوديته لربه صبره على أذى قومه في مواجهة الدعوة الإيمانية، وشدة تضرعه لربه تبارك وتعالى كما سيأتي في دعوته لقومه.

---

(١) الصواعق المرسلة (٤٨٢/٢) بتصرف يسير.

(٢) سورة الصف: ٦.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٣٧/٤) برقم (٢٣٦٥).

(٤) تعريف العلات : الضرائر، وأصله من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه عل منها ، والعلل : الشرب بعد الـــشرب وأولاد العلات: الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى، فتح الباري شرح صحيح البخاري رقم : ٣٢٥٨ ١٢٧٠/٣. والمعنى : أن الأنبياء أولاد علات أو إخوه لعلات وأمهات شتى أي أن دين جميع الأنبيـــاء أصـــوله واحـــدة في التوحيد لرسالة والبعث بعد الموت وسائر الوصايا العشر الوارد في سورة الأنعام آية (١٥١) قـــال تعـــالى:

الخ.

(٥) أخرجه البخاري (٢٠٣/٤)، برقم (٣٤٤٣).